

2^me^ Année, No. 77. | Lundi-24-12-1934

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠
| ٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

| ص | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٧٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٥٣ — ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــــدد



# أثر السياسة الحزبية
# فى الأخلاق

للأستاذ عبد العزيز البشرى

لقد عرفت من حديث الأسبوع الماضى بعض الآثار التى أشاعتها الحكومات الحزبية المتعاقبة فى أخلاق جمهرة الموظفين ، الأداريين منهم بوجه خاصّ ، حتى نجم فى بلادنا ذلك الفنّ المحقور المرذول : فن إرضاء القائم ومشايعته فى هواه ، ومدّ حبل الولاء للمقبل ومقاسمته أنه صادق الولاء له ، ولقاء هذا بوجه ، وذاك بوجه آخر ، والتحدث الى هذا بلسان ، والى ذاك بلسان آخر . ولا شك أن من شأن النجاح بمثل هذه الوسائل ، وعصمة المنصب باتخاذها ، أن يبعث كثيراً من الموظفين الآخرين على التبارى فيها ، والافتنان فى طلب السبق بها . وهكذا تتميّع الأخلاق تميُّعاً ، وتتحطم طباع الرجولة تحطيما !

على أن أثر هذه الحال لا يقتصر على الأخلاق فحسب ، بل إنه ليدخل الاضطراب والاختلال على الأعمال العامة التى يعالجها هؤلاء الموظفون . فالموظف ، فى هذه الحال ، يجب أن يُرضى أشياع الحكومة القائمة ، ولا يجب أن يسيء الي خصومها من

أشياع الحكومة المقبلة ، ليتخذ اليد عندهم ليوم تتبدّل الحال غير الحال . فهو بين أن يعوّق مابين يديه من الأعمال تعويقاً ليتحال من المسئولية البتة ، وأما أن يعمد الى توزيع المنافع بين هؤلاء وهؤلاء على حساب المصلحة العامة . وفى الأولى شل لحركة الأعمال الحكومية وتعوّد الاسترخاء عن الاضطلاع بالمسئوليات ، وفى الثانية عبث بحقوق العباد ، وإخلال بمصالح البلاد ، وفى كلتيهما شر عظيم وفساد كبير !

ولقد امتدّ أثر هـذه الحال الى الأعمال الفنية العظيمة ، فان الحكومات الحزبية فى بلادنا إنما تعمد ، فى العادة ، الى المشروعات الفنية التى هيأتها سابقتها ، فتتناولها بالتغيير والتبديل ، إن لم تتولها بالالغاء والتعطيل . ولقد تكون قد جردت عليها وهى فى المعارضة حملة حزبية شعواء ، فانظر ، رعاك الله ، موقف الموظفين الفنيين الذين هيأوا تلك المشروعات وأعانوا عليها من هؤلاء ومن هؤلاء !

وليس لهذا من أثر إلا أن يتقبضوا عن معالجة الأعمال الجسام ، وأن يحتالوا على الخلاص منها طلباً للخلاص بأنفسهم من ألوان المسئوليات . وفى ذلك إثم فى حق الفن وحق الوطن على بنيه من صفوة المتعلمين

لقد سبق لى أن زعمت أن طبيعة قيام الحكومات الحزبية لا تدعو الى شئ من كل هذا الاضطراب والتجاجل فى أخلاق الموظفين ولا فى تصرّف الموظفين ، بدليل تعاور الحكومات الحزبية للحكم فى جميع البلاد الدستورية ، ومع هذا لم يسمع عن حال الموظفين بعض ما نسمع ونرى فى هـذه البلاد . ولعلنا هذا بأننا نجتاز مرحلة سياسية خاصة لا أظن أنه يجتاز مثلها الآن بلد آخر من بلاد الله

وبمناسبة الحديث فى اعتماد الحكومات القائمة مشروعات سلفها بالتغيير أو التعطيل ، أذكر أن المستر سنوذن ، وهو من تعرف جبروتاً وعظم كفاية ، لما تولىّ وزارة المالية الانجليزية فى وزارة العمال ، أراد أن يغير فى شكل الميزانية ، فيقدم هذا الباب على ذلك الباب ، ويضيف من هذا الفصل لهذا الفصل ، فصمد له الموظفون الفنيون ومنعوه هذا منعاً ، وقالوا له : إن لك أن تصنع بسياسة الدولة المالية ما تشاء ، فتفرض من الضرائب ماتشاء ، وتحط منها ما تريد ، وأن تزيد ما ترى زيادته من وجوه النفقات ، وتنقص ما ترى نقصه . لك كل هذا ، أما أن تدخل فى الوضع الفنى للميزانيـة فذلك مما لا سبيل لك إليه بحال ! ويقتنع الرجل ويعدل عن هذا بنيته . فمتى نرى موظفينا على بعض هذه المتانة والثبات والايمان ؟

الذى أعتقده أن مثل هذا من السهل الميسور إذا أمن الموظفون سطوة الحكومات الحزبية بهم يوم يعصونها فى طاعة الواجب والحق والقانون . فاذا زلّت قدم الموظف ، بعد هذا ، أو صانع على ذمته وما ائتمن عليه من الحقوق العامة ، كان جزاؤه النكال والوبال . فهل نطمع من حكومتنا فى أن تعالج هذا فيما أخذت نفسها به من وجوه الاصلاح بعد إذ تفرغ من مهمة التطهير ، واستخلاص الأداة الحكومية من هذا الفساد ؟

* * *

هذا ما كان من شأن الموظفين ، أما شأن بعض الأعيان فى بلادنا فأعجب وأغرب ، إذا منعنا الحياء من أن نقول إنه أخزى وأخش . فاننا إذا تمحلنا بعض المعاذير لأولئك من الحرص على مناصبهم ، وإمساك أسباب العيش على أزواجهم وبنيهم ، فاننا لا يمكن أن نصيب عذراً لهؤلاء . اللهم إلا إذا كان من بين الأعذار السائغة حاجة المرء الى الجاه والسطوة ، واغتصاب المنافع العامة ، وقضاء حاجات الأهل والأقربين ، ولا ينال هذا إلا إذا وضع على رأسه ذمته ، وعقيدته ، وكرامته ، وراح ينادى عليها فعل الباعة المضطربين بسلعهم فى الأسواق

اللهم انه لا يعيب المرء مطلقاً أن يتغيّر رأيه فى شيء من الأشياء ، ولو من صواب فى الواقع الى خطأ فى الواقع ما دام الأمر موصولاً بصحة الاعتقاد ، ولا يعيب المرء مطلقاً أن يهجر حزباً ويتصل بحزب آخر طوعاً لتغيّر عقيدته فى الحزبين جميعاً . بل العيب كل العيب فى ألا يفعل ، وإلا كان آثماً أبلغ الاثم فى حق وطنه ، مأخوذاً فى تعصبه بحمية الجاهلية التى هجنها الله تعالى فى كتابه العزيز . ماذا يعيب المرء إذا تكشّف له خطأ رأيه فعدل عنه الى الصواب ؟ وماذا يعيبه إذا رأى شيعته قد انحرفت

عن القصد، وعبثت بما رسمت من المبادىء فى توجيه سياسة البلاد ؟ بل الذى يعيبه كل العيب ألاّ يفارقها الى من هو أصدق منها فى تحقيق كريم الأغراض !

لو أن أولئك الأعيان إنما يتحولون ويضطربون بين الأحزاب المختلفة طوعاً لرأى يعتريهم، أو لعقيدة تدخلها الظروف عليهم، لما استحقوا إلا الحمد والثناء. أما وهم صامدون بآرائهم وعقائدهم لكل حزب يتولى الحكم، فيهرولون لساعتهم اليه، ويعلنون انضواءهم تحت لوائه، ولا يتوانون فى كل مناسبة عن الأذان بأنه الحزب الصادق السعى فى تحقيق آمال البلاد؛ حتى إذا ما أدال الله منه بالحكم لحزب غيره، سرعان ماولوا وجوههم شطره فأعلنوا أنهم بعبادته مؤمنون، وأنهم تحت لوائه منضوون، لأنه قد بان لهم أنه الحزب لا حزب غيره، الصادق المسماة فى إصلاح الحال، القادر الكفء لتحقيق أعز الآمال !

وهكذا دواليك لا يقعد عن هذا الرقص والحجلان وقار ولا تحشم ولا حياء، حتى أصبحوا على البلاد من أشنع المعرات، وحتى هوّنوا على غيرهم شأن الكرامة، وأرخصوا فى الناس فضيلة الحياء، وأعلنوا أن المبادىء والعقائد مما يباع ويشترى، وأن الأهواء الحزبية مما يؤجر ويكترى، وليس فى إطلاق هذا الصنع على أزلاله إلا إفساد الأخلاق، وتوطيء النفوس لقبول الضعة والهوان.

***

وبعد، فلقد تقتضينى الرأى فى علاج هذا الداء، ولعله يتعاظمك هذا العلاج !

اللهم إن علاج هذا الداء فى بعض هؤلاء الأعيان، إنما هو فى العلاج الذى وضعناه لشأن الموظفين. فانه ما دام الحكم جارية أسبابه على مقتضى النزاهة والعدالة، والحرص على إقامة حدود القوانين، بحيث يصل المرء الى حقه فى يسر، وبحيث يحال بين المرء أياً كان وبين أن يبلغ ما لا حق له فيه بحال — لم يبق بأحد حاجة الى اللف والدوران، والرقص والحجلان، والتشكل فى مختلف الصور، والتلون بشتى الألوان، فهل نحن فاعلون ؟

عبد العزيز البشرى

# سمو الحب

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

صاح المنادى فى موسم الحج: « لا يفتى الناسَ إلا عطاءُ ابنُ أبى رَباح[1] » وكذلك كان يفعل خلفاءُ بنى أمية؛ يأمرون صائحهم فى الموسم، أن يدلّ الناسَ على مفتى مكة وإمامها وعالمها، ليَلْقَوْه بمسائلهم فى الدِّين، ثم ليُمْسِكَ غيرُه عن الفَتْوى، إذ هو الحجة القاطعة لاينبغى أن يكون معها غيرُها مما يختلف عليها أو يُعارضها، وليس للحجج إلا أن تظاهرها وتترادف على معناها

وجلس عطاءٌ يتحيّنُ الصلاةَ فى المسجد الحرام، فوقف عليه رجلٌ وقال يا أبا محمد، أنت أفتيْتَ كما قال الشاعر:

سَلِ المُفْتِيَ المكّيَّ: هل فى تزاوُرٍ
وضَمّةِ مُشْتاقِ الفؤادِ جُناحُ ؟
فقال: مَعاذَ اللهِ أن يُذهِبَ التُّقى
تلاصُقُ أكبادٍ بهنَّ جِراحُ !

فرفع الشيخُ رأسه وقال: والله ما قلتُ شيئاً من هذا، ولكنّ الشاعر هو نَحَلَنى هذا الرأيَ الذى نَفَثَه الشيطان على لسانه؛ وإنى لأخاف أن تَشيعَ القالَةُ فى الناس؛ فاذا كان غدٌ وجلستُ فى حلقتى فاغدُ علىّ، فانى قائلٌ شيئاً

وذهب الخبر يؤجّجُ كما تؤجّجُ النار، وتعالمَ الناسُ أن عطاء سيتكلّم فى الحب، وعجبوا كيف يدرى الحبَّ أو يُحسِنُ أن يقول فيه مَن غَبَرَ عشرين سنةً فِراشُه المسجد، وسمع من عائشة أمّ المؤمنين، وأبى هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنِ عباس بحرِ العلم ! وقال جماعةٌ منهم: هذا رجلٌ صامتٌ أكثرَ وقته، وما تكلم إلا خُيّل الى الناس أنه يُؤيَّد بمثل الوحى، فكأنما هو نَجيُّ ملائكةٍ يَسمع ويقول، فلعلّ

(١) ولد هذا الامام سنة ٢٧ هـ وتوفى سنة ١١٥ قالوا: ومات يوم مات وهو عند الناس أرضى أهل الدنيا

السماءَ مُوحيةٌ الى الأرض بلسانه وحياً فى هذه الضلالة التى عمّتْ الناس وفَتَنَتْهم بالنساء والغناء

ولما كان غدٌ جاء الناس أرسالاً الى المسجد ، حتى اجتمع منهم الجمعُ الكثير . قال عبد الرحمن بنُ عبد الله بن أبى عمار : وكنتُ رجلاً شاباً من فِتيان المدينة ، وفى نفسى مِن الدنيا ومِن هَوى الشباب ، فغدوت مع الناس ، وجئت وقد تكلم أبو محمد وأفاض ، ولم أكن رأيته من قبلُ ، فنظرتُ اليه فاذا هو فى مجلسه كأنه غرابٌ أسود ، إذ كان ابنَ أَمَةٍ سوداء تسمى « بَرَكَة » ورأيته أسودَ أعورَ أفطسَ أشل أعرج مفلفل الشعر ، لا يتأمل المرءُ منه طائلاً ، ولكنك تسمعه يتكلم فتظن والله أن هذه قطعةُ ليلٍ تسطع فيها النجوم ، وتصعدُ من حولها الملائكة وتنزل

قال : وكان مجلسه فى قصة يوسف عليه السلام ، ووافقته وهو يتكلم فى تأويل قوله تعالى : « وراوَدَتْه التى هو فى بيتها عن نَفْسه ، وغَلَّقَتِ الأبواب وقالت : هَيْتَ لك . قال : مَعَاذَ الله ، إنه ربىَ أَحْسَنَ مَثْوَاى ، إنه لا يُفْلِحُ الظالمون . ولقد هَمَّتْ به وَهَمَّ بها لولا أن رأى بُرْهَانَ ربِّه ؛ كذلك لِنَصْرِفَ عنه السوء والفحشاء »

قال عبد الرحمن : فسمعتُ كلاماً قُدْسياً تَضَعُ له الملائكةُ أجنحتها مِن رضىً وإعجاب بفقيه الحجاز . حفظتُ منه قوله : عَجَباً للحب ! هذه ملِكَةٌ تعشق فتاها الذى ابتاعه زوجُها بثَمنٍ بَخْس ؛ ولكنْ أين مُلْكُها وسطوةُ مُلْكِها فى تصوير الآيةِ الكريمة ؟ لم تَزِد الآيةُ على أن قالت : « وراودته الَّتى » و « الَّتى » هذه كلمةٌ تدلّ على كل امرأةٍ كائنةً مَن كانت ؛ فلم يَبْقَ على الحبّ مُلْكٌ ولا مَنْزِلة ؛ وزالَتِ الملِكةُ من الأنثى !

وأعْجَبُ من هذا كلمةُ « راودتْهُ » وهى بصيغتها المفردةِ حكايةٌ طويلةٌ تشير الى أن هذه المرأة جعلتْ تعترض يوسفَ بألوانٍ من أنوثتها لَوْنٍ بعد لون ؛ ذاهبةً الى فنٍ راجعةً من فن ؛ لأنها من رَوَدَان الأبل فى مشيتها ؛ تذهب وتجىء فى رِفْق . وهذا يُصوِّر حَيْرَةَ المرأة العاشقة ؛ واضطرابها فى حبها ؛ ومحاولتها أن تنفذ الى غايتها ؛ كما يصوِّر كبرياء الأنثى ، اذ تختال وتترفق فى عرض ضعفها الطبيعىّ ، كأنما هى شىءٌ آخر غيرُ طبيعتها ، فهما تَتهالكْ على مَن تحبّ وَجَب أن يكون لهذا « الشىء الآخر » مَظهرُ امتناعٍ أو مظهرُ تحيرٍ أو مظهر اضطراب ، وان كانت الطبيعة من وراء ذلك مندفعةً ماضيةً مصممة

ثم قال : « عن نفسه » ليدُلّ على أنها لا تطمع فيه ، ولكنْ فى طبيعته البشرية ، فهى تَعرِض ما تعرض لهذه الطبيعةِ وحدها ، وكأن الآية مصرِّحةٌ فى أدبٍ سامٍ كل السموّ ، منزِهٍ غايةَ التنزيه بما معناه : إن المرأة بذلتْ كل ما تستطيع فى إغوائه وتصبّيهِ ، مقبلةً عليه ومتدللة ومتبذلة ومنصبةً من كلّ جهة ، بما فى جسمها وجمالها على طبيعته البشرية ، وعارضةً كلّ ذلك عَرْض امرأةٍ خلعتْ أوّل ما خلعت أمام عينيه ثوب المُلك . »

ثم قال : « وغلَّقَت الأبوابَ » ولم يقل « أغلقتْ » وهذا يُشعر أنها لما يئست ، ورأت منه محاولة الانصراف ، أسرعتْ فى ثورة نفسها مهتاجة تتخيَّل القُفل الواحد أقفالا عِدّة ، وتجرى من بابٍ الى باب ، وتضطرب يدُها فى الأغلاق ، كأنما تحاول سدّ الأبواب لا إغلاقها فقط

« وقالت هَيْتَ لك » ومعناها فى هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة الى آخر حدوده ، فانتهت الى حالةٍ من الجنون بفكرتها الشهوانية ، ولم تعد لاملكة ولا امرأة ، بل أنوثةً حيوانيةً صِرْفة ، متكشفةً مصرحة ، كما تكون أنثى الحيوان فى أشد اهتياجها وغليانها !

هذه ثلاثة أطوار يترقّى بعضُها من بعض ، وفيها طبيعةُ الأنوثة نازلةً من أعلاها إلى أسفلها . فاذا انتهت المرأةُ إلى نهايتها ولم يَبْقَ وراء ذلك شىءٌ تستطيعه أو تعرضه بدأت من ثَمّ عظمةُ الرجولة السامية المتمكِّنةِ فى معانيها ، فقال يوسف : « معاذ الله » ثم قال : « إنه ربى أَحسَنَ مَثواى » ثم قال : « إنه لا يُفلِحُ الظالمون . » وهذه أسْمَى طريقةٍ إلى تنبيه ضمير المرأة فى المرأة ؛ إذ كان أساسُ ضميرها فى كل عصر هو اليقينَ بالله ، ومعرفةَ الجميل ، وكراهةَ الظلم . ولكن هذا التنبيه المترادفَ ثلاثَ مرّات لم يكسر من نَزْوَتِها ، ولم يَفْثَأْ تلك الحِدّة ، فان حبّها كان قد انحصر فى فكرةٍ واحدة اجتمعت

بكلّ أسبابها فى زمنٍ فى مكانٍ فى رَجُل ، فهى فكرةٌ مُحتبَسة كأن الأبوابَ مغلّقةٌ عليها أيضاً ؛ ولذا بقيتْ المرأة ثائرةً ثورةَ نفسها . وهنا يعود الأدبُ الآلهىّ السامى إلى تعبيره المعجز فيقول : « ولقد همَّتْ به » كأنما يومئ بهذه العبارة إلى أنها ترامتْ عليه ، وتعلّقتْ به ، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة ، وهى لَمْسُ الطبيعةِ بالطبيعة لألقاء الجمرة فى الهشيم . . . !

جاءت العاشقة فى قضيتها ببرهان الشيطان الذى يَقذف به فى آخر محاولته · وهنا يَقع ليوسف عليه السلام برهانُ ربّه كما وقع لها هى برهانُ شيطانها . فلولا برهانُ ربّه لكان همَّ بها ، ولكان رجُلاً من البَشر فى ضعفه الطبيعىّ

قال أبو محمد : وههنا ههنا المعجزةُ الكبرى ، لأن الآية الكريمة تريد ألاّ تنفيَ عن يوسف عليه السلام فُحُولةَ الرجولة ، حتى لا يُظَنّ به ، ثم هى تريد من ذلك أن يتعلّم الرجالُ ، وخاصة الشبانَ منهم ، كيف يتسامَوْن بهذه الرجولة فوق الشهوات ، حتى فى الحالة التى هى نهاية قدرة الطبيعة ؛ حالةِ مَلِكةٍ مُطاعة فاتنةٍ عاشقة مُختلية متعرّضة متكشّفة متهالكة . هنا لا ينبغى أن ييأس الرجل ، فان الوسيلة التى تجعله لا يرى شيئاً من هذا — هى أن يرى برهان ربّه

وهذا البرهان يُؤوّله كلُّ إنسان بما شاء ، فهو كالمفتاح الذى يوضع فى الأقفال كلّها فيفضّها كلّها ؛ فاذا مثّل الرجل لنفسه فى تلك الساعة أنه هو وهذه المرأة أمام الله يراهما ، وأن أمانيّ القلب التى تهجس فيه ويظنها خافيةً ، إنما هى صوت عالٍ يسمعه اللهُ ؛ وإذا تذكّرَ أنه سيموت ويُقبَر ، وفكر فيما يصنع الثرى فى جسمه هذا ، أو فكر فى موقفه يوم تشهدُ عليه أعضاؤه بما كان يعمل ، أو فكر فى أن هذا الأثم الذى يقترفه الآن سيكون مَرْجِعُه عليه فى أخته أو بنته — إذا فكر فى هذا ونحوه رأى برهانَ ربّه يُطالعه فجأة ، كما يكون السائر فى الطريق غافلاً مندفعاً إلى هاوية ، ثم ينظر فجأة فيرى برهانَ عينيه ؛ أترونه يتردّى فى الهاوية حينئذ ، أم يقف دونها وينجو ؟ احفظوا هذه الكلمة الواحدة التى فيها أكثر الكلام ، وأكثرُ الموعظة ، وأكثرُ التربية ، والتى هى كالدّرْع فى المعركة بين الرجل والمرأة والشيطان ، كلمةَ « رأى برهان ربه »

قال عبد الرحمن بن عبد الله وهو يتحدث إلى صاحبه سُهَيلِ ابن عبد الرحمن : ولَزِمْتُ الامامَ بعد ذلك ، وأجمعْتُ أن أتشبّه به ، وأسلكَ فى طريقه من الزهد والمعرفة ؛ ثم رجعتُ إلى المدينة وقد حفظتُ الرجلَ فى نفسى كما أحفظ الكلام ، وجعلتُ شِعارى فى كل نزعة من نزعات النفس هذه الكلمةَ العظيمة : « رأى برهانَ ربّه » ، فما ألممت باثم قطّ ، ولا دانيتُ معصية ، ولا رَهِقَنى مطلبٌ من مطالب النفس إلى يوم الناس هذا ، وأرجو أن يعصمني الله فيما بقى ، فان هذه الكلمة ليست كلمة ، وإنما هى كأمرٍ من السماء تحمله تمرُّ به آمناً على كل معاصى الأرض فما يَعترضُك شىء منها كأن معك خاتَمَ الملك تجوزُ به

قال سهيل : فلهذا لقّبَكَ أهل المدينة «بالْقَسّ» لعبادتك وزهدك وعُزُوفك عن النساء ، وقليلٌ لك والله يا أبا عبد الله ، فلو قالوا : ما هذا بَشراً إن هذا الا مَلَكٌ ، لصدقوا

* * *

قالت سَلاّمة جاريةُ سُهيل بن عبد الرحمن المُغنّيةُ الحاذقة الظريفة ، الجميلةُ الفاتنة ، الشاعرة القارئة ، المؤرخة المتحدثة ، التى لم يجتمع فى امرأة مثلها حُسنُ وجهها ، وحُسنُ غنائها ، وحُسنُ شعرها — قالت : واشترانى أمير المؤمنين يزيدُ بن عبد الملك بعشرين ألفَ دينار «عشرة آلاف جنيه» وكان يقول : ما يُقرُّ عيني ما أُوتيتُ من الخلافة حتى أشترى سلاّمة ؛ ثم قال حين ملكني : ماشاء بعدُ من أمر الدنيا فَلْيَفُتْني ! قالت : فلما عُرِضتُ عليه أمرنى أن أغنيه ، وكنتِ كالمخبولة من حب عبد الرحمن القسّ ، حباً أراه فالقاً كبدى ، آتياً على حُشاشتى ؛ فذهب عنى والله كلُّ ما أحفظه من أصوات الغناء ، كما يُمسح اللوح بما كُتب فيه ، وأُنسيت الخليفةَ وأنا بين يديه ، ولم أرَ الا عبد الرحمن ومجلسه مني يوم سألنى أن أغنيه بشعرٍ فيَّ ، وقولى له يومئذ : حُباً وكرامةً وعزازةً لوجهك الجميل . وتناولتُ العود وجسسته بقلبي قبل يدى ، وضربتُ عليه كأنى أضربُ لعبد الرحمن ، بيدٍ أرى فيها عقلاً يحتال حيلة امرأةٍ عاشقة . ثم اندفعتُ أغني بشعر حبيبي :

إن التى طرقَتْكَ بين ركائب  تمشى بمِزْهَرِها وأنتَ حَرَامُ

لِتَصِيدَ قلبَكَ ، أو جزاءَ مودَّةٍ ... إن الرفيقَ له عليكَ ذِمامُ
باتتْ تُعَلِّلُنا وتَحْسِبُ أننا ... في ذاك أيقاظٌ ، ونحن نيامُ

وغنيته والله غناء والهةٍ ذاهبةِ العقل كاسفةِ البال ، ورددْتُه كما رددْتُه لعبد الرحمن ، وأنا إذ ذاك بين يديه كالوردة أوّلَ ماتتفتح . وأنا أنظر إليه وأتبين لصوتي في مسمعيه صوتاً آخر ... وقطعته ذلك التقطيع ، ومددْتُه ذلك التمديد ، وصحت فيه صيحةَ قلبي ونفسي وجوارحي كلها كما غنيت عبد الرحمن ، لكيما أؤدِّيَ الى قلبه المعنى الذي في اللفظ ، والمعنى الذي في النفس جميعاً ، ولكيما أسكره - وهو الزاهد العابد - سكرَ الخمر بشيء غير الخمر !

وما أفقتُ من هذه الغَشْيَةِ إلا حين قطعتُ الصوت ، فاذا الخليفة كأنما يسمع من قلبي لا من فمي وقد زلزلَهُ الطرب ، وما خفِيَ عليَّ أنه رجلٌ قد ألمَّ بشأن امرأة ، وخشيتُ أن أكون قد افتضحْتُ عنده ؛ ولكنْ غلبتْه شهوتُه ، وكان جَسَداً بما فيه ، يريد جسداً لِما فيه ، فمِن ثَمَّ لم يُنكِر ولم يتغيَّر

واشتراني وصِرْتُ إليه ، فلما خلَوْنا سألني أن أغني ، فلم أشعر إلا وأنا أُغنِّيه بشعر عبد الرحمن :

ألا قُلْ لهذا القلبِ : هل أنت مُبْصِرُ
وهل أنتَ عن سلاّمةَ اليومَ مُقْصِرُ
إذا أخذَتْ في الصوتِ كاد جليسُها
يطيرُ إليها قلبُه حين تنظرُ

وأدّيتُه على ما كان يستحسنه عبدُ الرحمن ويطربُ له ، إذ يسمع فيه هَمْساً من بكائي ، ولهفةً مما أجدُه ، وحسرةً على أنه ينسكب في قلبي وهو يَصُدُّ عني ويتحاماني ، وما غنّيتُ : « وهل أنتَ عن سلاّمةَ اليومَ مُقْصِرُ » إلا في صوتٍ تنوح به سلاّمةُ على نفسها وتندب وتتفجّع !

فقال لي يزيد وقد فَضَحْتُ نفسي عنده فضيحةً مكشوفة : يا حبيبتي ، مَن قائلُ هذا الشعر ؟

قلت : أُحدِّثك بالقصة يا أمير المؤمنين ؟

قال : حدِّثيني

قلت : هو عبد الرحمن بن أبي عمّار الذي يلقّبونه بالقَسّ لعبادته ونسكه ، وهو في المدينة يُشبه عطاءَ بن أبي رباح ، وكان صديقاً لمولاي سُهَيْل ، فمرَّ بدارنا يوماً وأنا أُغني فوقف يسمع ، ودخل علينا « الأحْوَصُ » فقال : وَيْحَكُم ! لكأنَّ الملائكةَ والله تتلو مزاميرَها بحَلْقِ سلاّمة ، فهذا عبد الرحمن القسّ قد شُغل بما يَسمع منها ، وهو واقف خارجَ الدار . فتسارعَ مولاي فخرج إليه ودعاه إلى أن يدخل فيسمع منّي فأبى ! فقال له : أما عَلِمْتَ أن عبد الله بن جعفر ، وهو مَنْ هو في محلّه وبيته وعلمه قد مَشَى إلى جميلة أستاذة سلاّمة حين عَلِمَ أنها آلَتْ أليّةً ألا تُغنّي أحداً إلا في منزلها ؛ فجاءها فسمع منها ، وقد هيّأت له مجلسها ، وجعلتْ على رءوس جواريها شعوراً مُسْدَلةً كالعناقيد ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبَّغة ، ووضعتْ فوق الشعور التيجان ، وزينتهنّ بأنواع الحِلَى ، وقامتْ هي على رأسه ، وقام الجواري صفَّيْن بين يديه ، حتى أقسم عليها فجلستْ غير بعيد ، وأمرَتِ الجواري فجلسْنَ ، ومع كلّ جارية عودُها ؛ ثم ضربْن جميعاً وغنّتْ عليهنّ ، وغنّى الجواري على غنائها ، فقال عبد الله ، ما ظننتُ أن مثل هذا يكون !

وأنا أُقعِدُكَ في مكانٍ تسمع مِن سلاّمة ولا تراها ، إن كنتَ بالمنزلة التي لم يبلغْها عبدُ الله بن جعفر !

قالت سلاّمة : وكانت هذه والله يا أمير المؤمنين — رُقْيَةً من رُقَى إبليس ؛ فقال عبد الرحمن : أمّا هذا فنَعَم . ودخل الدار وجلس حيث يسمع ، ثم أمرني مولاي فخرجْتُ إليه خروجَ القمرِ مَشْبُوباً من سحابةٍ كانت تغطيه ، فما رآني حتى عَلِقْتُ بقلبه ، وسبّحَ طويلاً طويلاً ، وما رأيتُه حتى رأيتُ الجنةَ والملائكة ، ومُتُّ عن الدنيا وانتقلتُ إليه وحده ...

قالت سلاّمة : وافْتَضَحْتُ مرةً أخرى ، فتنحنحَ يزيد ... فضحكتُ وقلت : يا أمير المؤمنين ، أُحدّثك أم تَحسُبك ؟ قال : حدّثيني ويْحَك ! فوالله لو كنتِ في الجنة كما أنتِ لأعدْتِ قصةَ آدم مع واحدٍ واحدٍ من أهلها حتى يُطرَدُوا جميعاً من حسْنِها الى حسنك ! فما فعلَ القَسُّ ويحك ؟

قلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنه كان يُدعَى القسّ قبل أن يهواني

فقال يزيد : وهل عجبٌ وقد فتنته أن يطارده «البطريق»

قلت : بل العجبُ وقد فتنته أن يصير هو البطريق . . . !

فضحك يزيد وقال : إيه ، ما أحسب الرجلَ الا قد دُهي منك بداهية ! فحدثيني فقد رفعتُ الغيرة ؛ إني والله ما أرى هذا الرجل في أمره وأمركِ الا كالفحل من الأبل ، قد تُرِكَ من الركوب والعمل ، ونُعِّمَ وسُمِّن للفِحْلة ، فندّ فذهب على وجهه ، فأوغل في مفازة ، وأصاب مرتعا فتوحّشَ واستأسد ، وتبين عليه أثرُ وحشيته ، وأقبل إقبالَ الجنّ من قوة ونشاطٍ وبأس شديد ؛ فلما طال انفراده وتأبُّده عَرَضَتْ له في البرّ ناقةٌ كانت قد نَدَّت من عَطَنِها ، وكانت فارهةً جسيمةً قد انتهت سمناً وغطاها الشحْم واللحم ، فرآها البازلُ الصئول فهاج وصال وهدر ، يخبطُ بيده ورجله ، ويُسْمِعُ لجوفه دويٌّ من الغليان ، واذا هي قد ألقتْ نفسها بين يديه ! أما والله لو جعلَ الشيطانُ في يمينه رجلاً خلاً جميلاً ، وفي شماله امرأةً جميلةً تهواه ، ثم تمطى متدافعاً ومدَّ ذراعيه فابتعدا ، ثم تراجعَ متداخلاً وضم ذراعيه فالتقيا ، لكان هذا شأنَ ما بينك وبين القسّ !

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ ما كان صاحبي في الرجال خلاً ولا خمراً ، وما كان الفحلَ الا الناقةُ . . . ! وما أحسب الشيطانَ يعرف هذا الرجل ، وهل كان للشيطان عملٌ مع رجلٍ يقول . إني أعرف دائماً فكرتي ، وهي دائماً فكرتي لا تتغيرّ . ذاك رجل أساسه كما يقول « برهانُ ربه » ولقد تصنّعْتُ له يا أمير المؤمنين ، وتشكّلتُ وتحليتُ وتبرجتُ ، وحدّثتُ نفسي منه بكثير ، وقلت إنه رجل قد غبر شبابه في وجود فارغٍ من المرأة ، ثم وجد المرأة فيّ . وغنّيته يا أمير المؤمنين غناء جوارحي كلها ، وكنت له كأني حريرٌ ناعمٌ يترجرجُ وينتشر أمامه ويُطوَى ، وجلستُ كالنائمة في فراشها وقد خلا المجلس ، وكنتُ من كل ذلك بين يديه كالفاكهة الناضجة الحلوة تقول لمن يراها : كُلْني . . . ! »

قال يزيد : ويحك ويحك ! وبعد هذا ؟

قلت : بعد هذا يا أمير المؤمنين ، وهو يهواني الهوى البرحَ ، ويعشقني العشقَ المُضني — لم يرَ في جمالي وفتنتي واستسلامي إلا أن الشيطان قد جاءَ يرشوه بالذهب . . . بالذهبِ الذي يتعامل به !

فضحك يزيد وقال : لا والله ، لقد عرض الشيطانُ منك ذهبَه ولؤلؤَه وجواهرَه كلَّها ، فكيف لعَمري لم يُفلح ؛ وهو لو رشاني من هذا كلّه بدرهم لوجد أمير المؤمنين شاهدَ زور ... !

قلت : ولكنني لم أيأس يا أمير المؤمنين ، وقد أردتُ أن أُظهِر امرأة فلم أفلح ، وعملتُ أن أُظهرَ شيطانةً فانخذلت ، وجَهَدتُ أن يرى طبيعتي فلم يرَني إلا بغير طبيعة ، وكلما حاولتُ أن أنزل به عن سكينته ووقاره رأيتُ في عينيه ما لا يتغير كنور النجم ، وكانت بعضُ نظراته لي والله كأنها عصا المؤدِّب ، وكأنه يرى في جمالي حقيقةً من العبادة ، ويرى في جسمي خرافة الصنم ، فهو مُقْبِلٌ على جميلة ، ولكنه مُنْصرِفٌ عن امرأة

لم أيأس على كلّ ذلك يا أمير المؤمنين ، فان أولَ الحب يطلبُ آخرَه أبدا الى أن يموت . وكان يُكثر من زيارتي ، بل كانت إليّ الغَدْوَةُ والرَّوحة ، من حبّه إياي وتملّقه بي ، فواعدته يوماً أن يجيء متى وارى الليل أهلَه لأغنيه « ألا قل لهذا القلب... » وكنتُ لحّنته ولم يسمعْه بعدُ. ولبثت نهاري كلّه أسترْوِح في الهواء رائحةَ هذا الرجل مما أتلهّف عليه ، وأتمثّل ظلامَ الليل كالطريق الممتدّ إلى شيءٍ مخبوء أعلّل النفس به . وبلغتُ ما أقدر عليه في زينة نفسي وإصلاح شأني ، وتشكّلتُ في صنوف من الزهر ، وقلت لأجلهنّ وهي الوردة التي وضعتها بين نهديّ : يا أختي ، اجذبي عينيه اليكِ ، حتى إذا وقفَ نظرُه عليكِ فأنزلي به قليلا أو اصعدي به قليلا

قال يزيد وهو كالمحموم : ثمّ ثمّ ثمّ ؟

قلت يا أمير المؤمنين : ثم جاء مع الليل ، وإن المجلس لخالٍ ما فيه غيري وغيره ، بما أكابدُ منه وما يُعاني مني . فغنيته أحرّ غناء وأشجاه ، وكان العاشق فيه يطرب لصوتي ، ثم يطرب الزاهد فيه من أنه استطاع أن يطرب ، كما يطيش الطفلُ ساعةَ ينطلق من حبس المؤدّب

وما كان يسوؤني إلا أنه يمارس فيّ الزهدَ ممارسة ، كأنما

أنا صعوبةٌ إنسانية فهو يريد أن يغلبها ، وهو يجرّب قوى نفسه وطبيعته عليها ، أو كأنه يرانى خيال امرأة فى مرآة ، لا امرأةً ماثلة له بهواها وشبابها وحسنها وفتنتها ، أو أنا عنـــده كالحوريّة من حور الجنة فى خيالٍ من هى ثوابه ، تكون معه ، وإن بينها وبينه من البعد ما بين الدنيا والآخرة ، فأجمعت أن أحطم المرآة ليرانى أنا نفسى لا خيالى ، واستنجدت كلّ فتنتى أن تجعله يفرُّ الىّ كلما حاول أن يفرّ منى

فلما ظننتُنى ملأتُ عينيه وأذنيه ونفســه ، وانصببت اليه من كل جوارحه ، وهجتُ التيار الذى فى دمه ودفعتُه دَفْعاً — قلت له : أنت يا خليلى شيء لا يُعرَف ، أنت شيء مُتلَفِّفٌ بانسان ، ومن التى تعشق ثوباً ليس فيه لابسه ؟

ورأيته والله يطوف عنـــد ذلك بفكره ، كما أطوف أنا بفكرى حول المعنى الذى أردْته . فملتُ اليه وقلت[1] : أنا والله أحبك ! »

فقال : « وأنا والله الذى لا إلــه إلا هو »

قلت : وأشتهى أن أعانقك وأقبلك ! »

قال : « وأنا والله ! »

قلت : « فما يَمْنعُك ؟ فوالله إن الموضع لخالٍ ! »

قال : يمنعنى قولُ الله عزّ وجلّ : « الأخلاّء يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين » . فأكرهُ أن تحُولَ مودّتى لكِ عداوة يوم القيامة »

إنى أرى « برهان ربى » ياحبيبتى ، وهو يمنعنى أن أكون من سيئاتكِ وأن تكونى من سيئاتى ، ولو أحببت الأنثى لوجدْتُكِ فى كل أنثى ، ولكنى أحب ما فيكِ أنتِ بخاصّتك ، وهو الذى لا أعرفه ولا أنتِ تعرفينه ، هو معناكِ بإسلامة لا شخصك

ثم قام وهو يبكى ؛ فما عاد بعد ذلك يا أمير المؤمنين ، ما عاد بعد ذلك ، وترك لى ندامتى وكلامَ دموعه ! وليتنى لم أفعل ، فقد رأى أن المرأة تكشف وجهها للرجل أحياناً ، وكأنها لم تُلْقِ حجابها بل ألقتْ ثيابها ... ... ... ... ... ... ... ... ؟

طنطا

مصطفى صادق الرافعي

(١) هذا نص كلامهما كما رواه صاحب الأغانى ، وهو كل القصة فى كتابه

# الصراع بين الحبشة والاستعمار الغربى

## وهل يدبر الاستعمار غزوها ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

---

وقعت أخيراً عدة حوادث ومصادمات خطيرة على حـدود الحبشة بين الايطاليين والأحباش ؛ وكان المظنون أن الكدر الذى أصاب العلائق الحبشية الايطالية من جراء حادث الاعتداء على القنصلية الايطالية فى جوندار قد زال بعد اعتذار الحكومة الحبشية وقيامها بالترضيـة المطلوبة . ولكن حادثاً أشد خطورة وقع منذ أيام قلائل على الحدود الحبشية مما يلى السومال الايطالى ؛ فقد نشبت معركة دموية شديدة بين قوة من الأحباش وقوة من الايطاليين عند مركز اولوال الذى يدعيه كل منهما ، قتل وجرح فيها من الفريقين عدد كبير يقدر بالمئات ؛ وقد وقف القتال على أثر ذلك ، وانسحب الأحباش الى داخل الحدود ، ورفعت الحكومة الحبشية الأمر الى عصبة الأمم ؛ ولكن الجو ما زال كدراً مثقلاً بمختلف الاحتمالات

ومما يلفت النظر بنوع خاص أن يقع هذا التوتر وهـذه الحوادث الخطيرة بين الدولتين عقب الزيارة الملكية التى قام بها ملك ايطاليا فى الاريتريا والسومال ، والمظاهرات العسكرية التى نظمتها السلطات الايطاليـة بهذه المناسبة . ولا ريب أن طواف ملك ايطاليا بالأملاك الايطالية فى افريقية الشرقية لم يكن بقصد النزهة والتريض ، ولكنها زيارة سياسية ظاهرة المغزى ، وطليعة خطة جـــديدة تزمع ايطاليا الفاشستية انتهاجها فى سياستها الاستعمارية . ومن المعروف أن ايطاليا الفاشستية تعنى عناية شـديدة بالتوسع الاستعمارى ، وأنها خطت فى ذلك السبيل خطوات واسـعة فى طرابلس ، حيث استطاعت أن تتوغل فى داخلها بعد أن لبثت منـذ غزوها تقتصر على احتلال البلاد الساحليـة وما يليها الى مسافة قصيرة ، واستطاعت بواسطة انكلترا أن تنتزع واحة جغبوب المصرية وما يليها بمقتضى المعاهدة

المعروفة ، وأن تصحح بذلك حدودها على حساب الأراضى المصرية ؛ بل لقد استطاعت أخيراً أن تنتزع بواسطة انكلترا أيضاً جزءاً من واحة العوينات السودانية وأن تضمها الى برقة الجنوبية ، ونزلت لها إنكلترا عن تلك المنطقة باسمها وباسم مصر ، ومصر لا تعلم بشيء من ذلك ولم يطلب رأيها فيه . وتبدى ايطاليا الفاشستية نشاطا واضحاً فى تنظيم مستعمراتها الافريقية وتقوية نفوذها الاستعمارى ، وتجعل التوسع الاستعمارى أساساً لسياستها الأوربية ، فتشترط لتفاهمها مع فرنسا أن تحصل على حقوق ومزايا استعمارية فى جنوب تونس ، وفى منطقة تشاد ، وتدعو الى تعديل معاهدة الصلح ( معاهـــدة فرساى ) ، وتحاول أن تثير مسألة الانتدابات الاستعمارية التى استأثرت بها فرنسا وانكلترا وحرمت هى منها فلم تظفر بشيء من أسلاب ألمانيا أو الدولة العثمانيـة ؛ هذا الى اهتمامها بتقوية نفوذها فى كثير من الأمم الشرقية ، ومضاعفة جهودها فى نشر تجارتها ونفوذها الاقتصادى

ومن الطبيعى أن تخص ايطاليا المنطقة الحبشية بمعظم جهودها واهتمامها ، فهى تملك فى تلك المنطقة مستعمرتين كبيرتين هما بلاد الاريترية التى تحد الحبشة من الشمال الشرقى وتحجب عنها ساحل البحر الأحمر ، وبلاد السومال الايطالى ، وهى تحد الحبشة من الجنوب الشرقى ، وتحجب عنها ساحل المحيط الهندى . بيد أن هذا الاهتمام ليس حادثاً ولا طارئاً ؛ فقد بدأت ايطاليا عصرها الاستعمارى فى تلك المنطقة ، وامتلكت بها أول مستعمرة ايطالية . وكان ذلك سنة ١٨٨٥ ، وقت أن كانت الدول الكبرى تنظم اقتسام افريقية الى أملاك ومستعمرات ، فاستطاعت ايطاليا أن تضع يدها على ثغر مصوع وأن تحتل بلاد الاريترية ؛ وكانت السياسة الايطالية تتطلع يومئذ الى التوسع فى تلك المنطقة ، والى إنشاء امبراطورية استعمارية ايطالية فى شرق افريقية ؛ ولم يكن يحقق ذلك الحلم سوى الاستيلاء على بلاد الحبشة ؛ فاتخذت من الاريترية قاعدة لتحقيق هذه السياسة ، وكانت الحبشة تجوز يومئذ ظروفاً سيئة من تعاقب الثورات والخلافات الداخلية ، وكان الغزو الأوربى قد استطاع أن ينفـذ اليها قبل ذلك بأعوام قلائل ؛ فى سـنة ١٨٦٨ ، نفذت حملة انكليزية بقيادة السير نابيير الى بلاد الحبشة لتعمل على إنقاذ بعض المبعوثين والرعايا الانكليز الذين اعتقلتهم حكومة الحبشة وأبت إطلاق سراحهم ، وكان المتغلب على الحبشة يومئذ زعيم يدعى كاسـاى ، الذى تلقب باسم الملك « النجاشى ) تيودور ، فهزم واضطر الى التسليم ، وانتحر على أثر ذلك ، وانسحب الانكليز بعد أن أملوا شروطهم وحققوا غايتهم . وقام على عرش الحبشة النجاشى يوحنا الثانى ، وفى عهده تقربت ايطاليا من الحبشة وعقدت معها صلات ودية وثيقة سرعان ما تحولت الى نوع من الوصاية . واستمرت ايطاليا تعمل على تقوية نفوذها وسلطانها فى الحبشة حتى توفى يوحنا الثانى سنة ١٨٨٩ وخلفه منليك أمير شوا ؛ وكان النير الايطالى قد اشتدت وطأته يومئذ ، وضعفت الحبشة واضطربت شئونها الى حد استطاعت معه أن تفرض ايطاليا عليها معاهدة تقضى بوضعها تحت الحماية الايطالية ، وهى المعروفة بمعاهدة « أوشالى » ( سنة ١٨٨٩ ) وعنـــدئذ تغلغل النفوذ الايطالى فى الحبشة ، وسيطرت ايطاليا على شئونها ومصايرها ، وأخذت تطمح الى امتلاكها وضمها . ولـكن شاء القدر أن يكون منليك ، ذلك الأمير الذى ضاعت فى عهده الحريات الحبشية هو نفس الأمير الذى يقوم بتحريرها من النير الأجنبى . فى سنة ١٨٩٥ ، اضطرمت الحبشة بثورة عظيمة ضد النفوذ الأجنبى بزعامة منليك ، ونشبت الحرب بين الايطاليين والأحباش ، وهزم الايطاليون هزيمة ساحقة فى « عدوه » من أعمال ولاية تجرى فى قاصية شمال الحبشة ، وذلك فى أول مارس سنة ١٨٩٦ ، وأرغمت ايطاليا على أن تعقد مع الحبشة معـاهدة جديدة تعترف فيها باستقلالها ( معاهدة أديس ابابا ) ، وبذلك اسـتردت الحبشة حرياتها التى لم يطل أمد ضياعها ، وانهارت آمال الاستعمار الايطالى ؛ واستمر منليك الثانى ، أو منليك الأكبر محرر الحبشة يسهر على مصايرها بقوة وعزم ، ويسير بها فى سبيل المدنية والاصلاح والتقدم حتى توفى سنة ١٩١٣ . وفى عهده نظمت الحبشة علائقها مع الدول الأوربية ، وعقدت معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى ، واستطاعت أن ترغم الدول الاستعمارية على احترامها وعلى الحد من أطماعها

وفى سنة ١٩٠٦ عقد بين ايطاليا وبريطانيا وفرنسا تحالف ثلاثى يقضى بالعمل المشترك لحماية أراضيها ومصالحها فى تلك

المنطقة ، وهو محالف تجدد فى سنة ١٩٢٥ . ولما توفى منليك الثانى فى سنة ١٩١٣ ، خلفه حفيده ابن ابنته « ليجى ياسو » ؛ وقد كان أبوه الراس مخائيل مسلماً فتنصر تحقيقاً لأطماعه وتزوج من ابنة منليك . ثم نشبت الحرب الكبرى ، واضطرمت الدسائس حول ليجى ياسو ؛ واتهم بممالأة المسلمين الذين ينتمى إليهم بأصله ودمه ، ثم اتهم بالارتداد عن النصرانية ؛ ولكن الواقع أن ليجى ياسو كان يرى أن مصلحة الحبشة أثناء الحرب تقضى باتجاهها نحو التحالف الجرمانى التركى وابتعادها عن دول الحلفاء ؛ فخشى الحلفاء ولاسيما انكلترا عاقبة هــذا الاتجاه ، وأخذت تعمل لاثارة الشعب الحبشى ضد أميره ، وألفت فى بطريرك الحبشة القبطى خير أداة لحياكة هذه الدسائس ، فاستعمل الدين وسيلة لاضرام الثورة وألبَّ الزعماء المستقلون فرصتهم ، وهزم ليجى ياسو بعد وقائع وخطوب جمة ؛ وأعلنت « زوديتو » ابنة منليك الكبرى امبراطورة للحبشة ، ( سنة ١٩١٦ ) وعين الراس تافرى ماكونن وصياً للعرش وولياً للعهد ؛ وكان هو الملك وهو الحاكم ، ولم يكن للامبراطورة من السلطة الحقيقية شىء ؛ وبعد بضعة أعوام أعلن الراس تافرى نفسه امبراطوراً الى جانب الامبراطورة زوديتو ؛ ولما توفيت الامبراطورة سنة ١٩٣٠ ، استقل الراس تفرى بعرش الحبشة باسم الامبراطور « هيلى سلاسى » ؛ وكان أعظم حادث سياسى فى عهده انضمام الحبشة الى عصبة الأمم . وفى عهده قطعت الحبشة مراحل عظيمة فى سبيل التقدم والتجديد ، وبذلت جهوداً كبيرة لتنظيم قواتها الدفاعية وتزويدها بوسائل التسليح الحديثة ؛ ونظمت الحبشة علائقها السياسية والتجارية مع معظم الدول الأوربية ، واستطاعت أن ترد عادية النفوذ الأجنبى عن استقلالها وحرياتها

ولكن السياسة الاستعمارية تعود اليوم فتتربص بالحبشة ؛ وتعود ايطاليا فتتجه ببصرها وأطماعها إلى تلك المنطقة ؛ وظاهر أن نشاط ايطاليا فى الارتيرية والسومال ، وما تبدى هنالك من الاستعدادات الحربية ، وأن زيارة ملك ايطاليا لهاتين المستعمرتين ، وأن تحرش ايطاليا بالحبشة ومحاولتها أن تدفع حدود السومال الى داخل الأراضى الحبشية مما أدى الى حادث أولوال الدموى ؛ ظاهر من ذلك كله أن ايطاليا مقبلة على تنفيذ خطة استعمارية جديدة فى تلك المنطقة . ومما تجدر ملاحظته أولاً أن لفرنسا وانكلترا مصالح هامة فى تلك المنطقة ، فانكلترا تحتل السومال الانكليزى ، وتحتل فرنسا السومال الفرنسى وثغره جيبوتى الذى هو مخرج التجارة الحبشية من جهة البحر الأحمر ، والذى يتصل بعاصمتها أديس أبابا بالسكة الحديدية . ولكن فرنسا وانكلترا تلتزمان الصمت والجمود إزاء النشاط الايطالى نحو الحبشة ، ويبدو تحفظ انكلترا وحيادها بنوع خاص فى أمرها لمندوبها فى السومال وهو الذى شهد معركة الحدود بين الأحباش والايطاليين فى أولوال الا يتدخل فى النزاع مطلقاً ، وأن ينسحب الى الداخل . ومن المعروف أن التحالف الذى عقد بين ايطاليا وفرنسا وانكلترا فى سنة ١٩٠٦ ، وجدد فى سنة ١٩٢٥ ، ينص على اعتراف الدولتين بتفوق المصالح الايطالية فى الحبشة . ولكن ذلك لم يكن ليكفى لحيدة انكلترا فى معركة بين الاستعمار الايطالى والحبشة ، لو لم يتدخل فى الموقف عامل خطير آخر ، هو ظهور اليابان على المسرح . فاليابان تبذل منذ أعوام جهوداً جبارة لغزو الأسواق العالمية فى الشرق والغرب ، وقد استطاعت أن تنافس التجارة البريطانية فى معظم الأسواق منافسة خطيرة ، وأن تخلق لبريطانيا مشكلة اقتصادية عظيمة تهددها اليوم فى تجارتها الامبراطورية بأخطر العواقب ؛ وظهرت اليابان فى شرق افريقية كما ظهرت فى غيره ، واستطاعت أن تغزو سوق الحبشة بسرعة ، وأن تكسب عطفها وثقتها ، حتى قيل بأن الامبراطور ينوى أن يعهد فى تدريب جيشه الى خبراء عسكريين يابانيين . ولما كانت بريطانيا العظمى تعمل لاحباط هذا الغزو اليابانى الخطر بكل ما وسعت ، فقد رأت أن تطلق يد ايطاليا فى المنطقة الحبشية لكى تعمل على مقاومة النفوذ اليابانى ، ورأت ايطاليا من جانبها أن تعمل لتحقيق مشاريعها الاستعمارية . وأما سكون فرنسا فيحمل على أنها ترى إرضاء التوسع الايطالى فى تلك المنطقة ، مما يصرف نظر السياسة الايطالية عن محاولة التوسع فى منطقة بحيرة تشاد فى السودان الغربى ، ومما يهدئ ثورتها وأطماعها نوعاً ؛ هذا ومن جهة أخرى ، فان ايطاليا تتطلع بنوع خاص الى منطقة بحيرة تسانا الحبشية والى الانتفاع بمواردها ، وبحيرة تسانا التى تغذى النيل الأزرق ، وتعتبر من أهم منابع نهر النيل ، تقع فى شمال الحبشة على مقربة من الأريترية المستعمرة

# ما نرى فى الغردقة

## فى محطة الأحياء البحرية التابعة للجامعة المصرية

للدكتور كروسلاند
مدير محطة الأحياء البحرية بالغردقة

أعدت محطة الأحيـاء البحرية بالغردقة للأبحاث العلمية البحتة، فليس بنا من حاجة الى معرض نربى فيه بعض الحيوانات الجميلة التى تعيش بالبحر الأحمر. ولكن كثيراً ما يُعنى زائرو المحطة بجمع هذه الحيوانات للتمتع بمشاهدتها فى المرابى كل فى معمله المعد له. وقد نجحت المعدات التى زودنا بها هذه المرابى نجاحاً باهراً، فقد عاش أغلب هذه الحيوانات عيشة صحية بضعة أسابيع أو أشهر حتى يغادر صاحبها المحطة فيطلق سبيلها فى اليم أو تقتل لتحفظ فى المتحف. والمعدات التى هيأناها للمرابى هى :—

أولاً — أن تزود بسيال مستمر من ماء البحر الطازج الذى يؤخذ توا من نهاية الرصيف حيث يكون صافياً لا يحتاج الى ترشيح، فيوضع فى صهريج صغير يملأ ثلاث مرات يومياً، ومنه يوزع على المرابى

ثانياً — تجرى المياه فى أنابيب مصنوعة من السليوليد (الطبخ) وصنابير من السليوليد أو الولكنت ( Yulcanite ) أما المضخة فمبطنة بالخزف. وبذلك لا تتصل المياه فى طريقها من البحر الى المربى بأى معدن

كثير من الأسماك الاستوائية جميل فى لونه، وبعضها كفرس البحر والأمفسيل (Aeoliscus punculatus) غريب فى شكله كما جاء فى مقالى السابق (بالرسالة)؛ وكثيراً ما نحصل هنا على فرس البحر والأمفسيل، فيعيش الأول فى المربى ويموت الثانى بمجرد إخراجه من البحر. وغيـر هذين النوعين يوجد أبو صندوق(Ostracion, Box fish)، والدرمّة(Puffer fish, Tetraodon)

وقد اقتنينا من هذه سمكة صغيرة كانت تسبح بزعانفها فقط، بينما تجر ذنبها ملتوياً الى جسمها، فاذا أهيجت سبحت به بسرعة ونشاط

---

الايطالية؛ وقد حاول بعض رجال المال الأمريكيين أن يبتاعوا من الحبشة امتيازاً باستغلال هذه المنطقة وكادوا يظفرون ببغيتهم رغم مقاومة السياسة البريطانية؛ ولكن الأمبراطور هيلى سلاسى رأى أخيراً أن يحتفظ بهذا المورد للحبشة؛ وانكلترا تؤثر أن تقع هذه المنطقة تحت النفوذ الايطالى اذا لم تستطع هى أن تبسط نفوذها عليها؛ وايطاليا ترتب على التوسع فى هذه المنطقة مشاريع زراعية واقتصادية كبرى

هذه هى ظروف المعركة التى يلوح لنا أن الاستعمار الايطالى يعتزم أن يشهرها على الحبشة؛ وحكومة أديس أبابا ليست غافلة عن الخطر الذى يهددها، فهى تشعر بما وراء السياسة الايطالية من المشاريع والمطامع. والحبشة كما ذكرنا من أعضاء عصبة الأمم؛ وقد رأت على أثر الحوادث الأخيرة أن تطلب الى الحكومة الايطاليـة قبول التحكيم معها الى هيئة دوليـة؛ ولكن رومة رفضت هذا الاقتراح، ورفعت الحبشة الأمر الى عصبة الأمم بالتطبيق للمادة الحادية عشرة من ميثاق العصبة وهى التى تنص على حالة خطر الحرب الذى يهدد أحد أعضاء العصبة، وعلى وجوب اتخاذ جميع الاجراءات الممكنة لصون السلام. والظاهر أن حكومة رومة لا تحفل أيضاً بتدخل عصبة الأمم، وأنها ماضية فى خطتها العدائية نحو الحبشة، لأنها تقدمت الى حكومة أديس أبابا بطلب تعويضات وترضيات جديدة عن حادث أولوال. وليس من ريب أيضاً فى أن الحبشة لم تلتجئ الى عصبة الأمم إلا قياماً بواجبها الدولى، وأنها لا تعتمد على العصبة فى رد شئ مما يهددها من عدوان الاستعمار الغربى، لأنها تعلم أن العصبة لا تملك شيئاً من الأمر؛ والحبشة تشعر بهذا الخطر وتقدره بلا ريب منذ بعيد، وتعمل دائماً على رده بكل ما وسعت. ومهما يكن من مظاهر القوة التى تبديها السياسة الفاشستية، فانا لا نعتقد أنها قادرة على أن تغزو بالقوة المادية بلاداً وعرة كالحبشة، وعلى أن تخضع بالسيف شعباً شديد المراس كالشعب الحبشى، وفى وسع حكومة رومة أن تنظم من المظاهرات ما شاءت، ولكنها ما زالت بلا ريب تذكر الدرس القاسى الذى ألقته الحبشة على الجيش الايطالى فى « عدوه »، منذ جيل فقط

محمد عبد الله عنان
المحامى

ويشاهد أحياناً الرعاد ويعرف هنا (بالرجدة) ( Electric Ray, Narcine pantherina ) على الشاطىء الرملي بجوار المعامل ، وهو سمك كهربائي يحدث رعشة خفيفة ولكنها كافية لأن تحمل (سيباء) على أن تلقي بنفسها خارج المربى الذي كانا يعيشان فيه سوياً

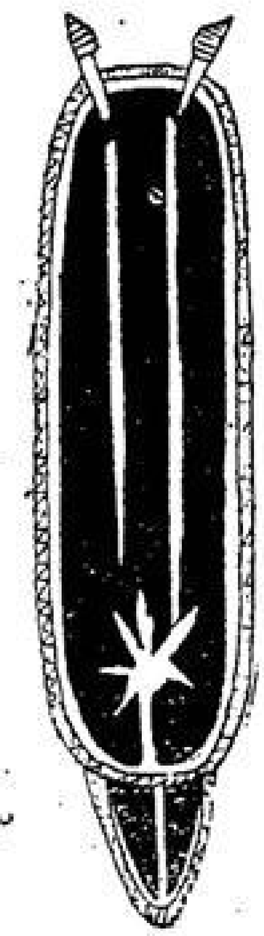
وتوجد أنواع من الأسماك الصغيرة مثل الكشكوشة (Atherina forskali) في أسراب كبيرة بجوار المرسى تعيش على الأحياء الدقيقة المعلقة بالماء (Plankton) ، وأعجب خواصها مقدرتها على الحياة مدة طويلة في المربى ، ولعلها تجد مقداراً كافياً من هذه الأحياء المعلقة ، وخاصة عندما يملأ الصهريج الخازن في المساء ، إذ تكثر الأحياء المعلقة في المياه السطحية ، كما تكفي تلك لغذاء المرجان وقرب البحر (Ascidians) وغيرها

وتحفظ الكشكوشة فريسة لحيوانين من أعجب حيوان المربى هما السيباء وزهرة البحر الكبيرة . تجثو السيباء أكثر الوقت على القاع وقد ضمت ثمانياً من أذرعها جنباً الى جنب فتكون قلنسوة حول الفم . وتماثل (mimic) السيباء القاع الذي تعيش عليه تماماً ، غير أن لها خطاً أزرق براقاً يحف زعنفتها . وهكذا تظل جاثمة في مكانها مختفية عن الأنظار حتى اذا دنت منها سمكة كالكشكوشة أطلقت عليها ذراعيها الطويلتين المختبئتين في جيب مخصوص وأمسكتاها بممصاتها ، وفي برهة تتوارى السمكة في قلنسوة أذرعها القصيرة ، وفي الوقت نفسه تظهر على جسم السيباء خطوط عريضة بنية داكنة تجعلها واضحة جلية . ذلك التغيير في اللون وغيره مما يحدث إثر أي حافز stimulus أو بدون حافز ظاهر يجعلها فتنة للناظرين ، وإنه لمن الأهمية بمكان أن نبحث عن العلاقة الحقيقية بين ذلك التغيير في اللون والحوافز المختلفة

وعندنا من الرخويات صدف اللؤلؤ ، ذلك الذي يعيش حتى يقتله الانسان طمعاً في صدفه البراق ، أو في اللؤلؤة يصادفها في كل نحو من عشرة آلاف صدفة .

والبزق (Slugs, Nudibranchs) من أعجب الرخويات وهي عديمة المحار . كثير منها جميل خلاب مادام حياً ، فان حفظ بعد الموت تحول إلى كتل لا شكل لها تكون أقرب إلى الطين لوناً

وهناك عائلة من البزق (Doridae) من أهم مميزاتها أن أفرادها ذوات ألوان أخاذة ، وفيما عدا ذلك لا تختلف أنواعها إلا في خواص طفيفة . ومن بين ردف العائلة كرومودوريدي Chromodoridae هنا نوع واحد (Chromodoris quadricolor) شكل (١) ذو حجم لا بأس به يبلغ خمسة سنتيمترات طولاً ، واثنين ونصفاً عرضاً ، وهو من أقلها جمالاً ومع ذلك فهو خلاب حقاً . ظهره مسطح يمتد منه من الأمام قرنا الاستشعار ، ويرجح أنهما للشم ، ومن الخلف عدة خياشيم ريشية منتظمة في دائرة . لونه أسود مقلم طولياً بخطوط زرقاء — قد يكون جزء منها أو كلها أبيض — أما القرون والخياشيم فذات لون أصفر برتقالي زاه . ويحف الظهر خط من نفس اللون داخله خط آخر أبيض . ولما كانت هذه البزق لا تلجأ عادة الى الاختباء تحت الأحجار كما تفعل البزق المعتمة اللون كانت أداة طيبة للعرض . ولون هذه الحيوانات في جلائه ووضوحه إرهابي warning colouration يقيها أعداءها التي تخشى طعمها الردئ

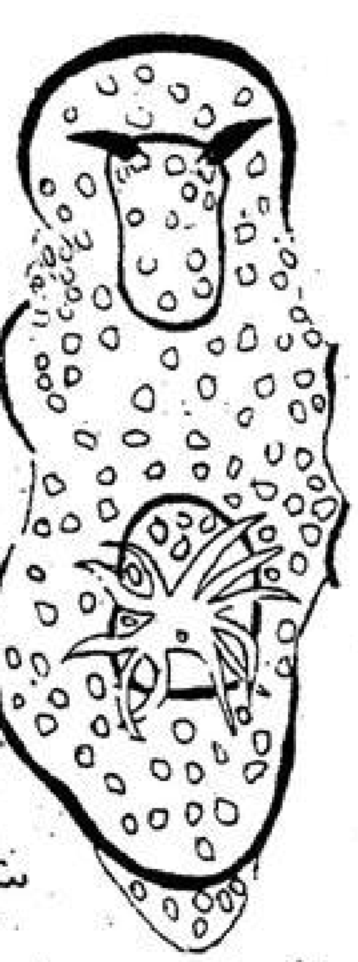


شكل (١)

كرومودورس كوادريكولور

(Chromodoris quadricolor)

ومنذ قريب عثرنا على نوع آخر من (Chromodoris) وجدت منه كثيراً في زنجبار منذ نيف وثلاثين عاماً عندما كنت أقوم بعمل مجموعة الأحياء للسير (شارلز إليت) ، ولكني لم أره هنا من قبل برغم ألوانه الغريبة ؛ جسمه أبيض يميل إلى الصفرة ، تزينه نقط صفراء فاقعة ، ويحفه خط بنفسجي وحلقة بيضاوية بنفسجية تحيط بقرني الاستشعار وأخرى تحيط بالخياشيم . ولهذه الحلقات يسمى (Chromodoris annulata) شكل (٢)



شكل (٢)

كرومودورس انيولاتا

( C. annulata )

وأضخم هـــذه البزق وأجملها لوناً هو (Hexabranchus sanguineus) ويسميه الصيادون هنا لسان البحر ، يبلغ طوله نحو عشرين سنتيمتراً ، وله برنُس عريض كثير الحواشي قرمزى اللون يحفه شريط أبيض قد تتخلله خطوط دقيقة مستعرضة ؛ وتختلف نسبة هذا الشريط الأبيض ، فقد لا توجد فى بعض سلالات ، وفى أخرى من المحيط الهندى (لم نرها بالبحر الأحمر) بداخله كثير من الصفرة

ويذكر إليت (Eliot) أن هذا الحيوان كثير الانتشار ، ولكني أعتقد أن حجمه الكبير ولونه الزاهى هما اللذان يساعدان على رؤيته . ولم أره إلا مرة واحدة فى موطنه الطبيعى بين المرجان ؛ وكل نماذجنا الأخرى حصلنا عليها بعد أن لفظها البحر على الشاطئ فى فصل الربيع . وعند ما نلتقطه يظهر قدمه كنقر ضيق ، فتبدو قبضته على السطح الذى يزحف عليه واهنة جداً ، فاذا طفت الأمواج أزاحته عن موطنه وطفا على سطح البحر . ولكنه إذا وضع فى المربى تفرطحت قدمه وأمسك بالقاع جيداً ، فان أهيج ترك القاع وارتفع فى الماء سابحاً بتموجات غريبة . لعلكم لم تروا فيلاً يطير ، ولكننا هنا نرى بزاقة تسبح بنشاط . وليس لى عهد ببزاقة أخرى تقدر على السباحة ماعدا توردِيسا (Thordisa) فى زنجبار ، ولم أرها منذ ذلك الوقت . ومن خصائص هذا النوع أنه يخدر بسهولة باضافة كبريتات المانزيا إلى الماء الذى يعيش فيه ، وبذلك يمكن قتله وحفظه على شكله وهو حى ، غير أنه يفقد لونه بسرعة .



شكل (٣) أنواع مختلفة من الشوكيات

وكثير من الشوكيات يعيش طويلاً فى المربى ، ونرى فى الشكل (٣) أنواعاً من قنفذ البحر لبعضها أشواك غليظة كبسم الغليون ( مثل أبى مباسم Heterocentrotus & Gidaris ) ولغيرها أشواك دقيقة طويلة كالأسلاك ، مثل الهلمان ( Diadema ) ، وأخرى قصيرة كالأبر ، وقد يتجرد أبو مباسم من أشواكه كلها ، ولا نعلم بالتحقيق هل ينبت عليه غيرها كما يكون الحال فى الرتسة الأوربية ( Echinus esculentus ) فأننا لم نحفظها بالمرابى مدة كافية للفصل فى ذلك.

وبين نجوم البحر نجمة قرمزية اللون تزينها نقط زرقاء ، كذلك كف مريم ( Astropecten ) وهو يشبه النوع الأنجليزى كثيراً ، ويزحف فوق القاع على أرجله الأنبوبية المدببة بدلا من التسلق بالمصات كبعض الأنواع الأخرى



شكل (٤) أنواع مختلفة من المرجان

أما المرجان[1] فيسهل حفظه حياً فى المرابى ، وهو يتكون عادة من مستعمرات من عدد كبير من البوليبات (Polyps) متفاوتة الحجم ، وأفضلها ما كانت بوليباته كبيرة كما فى الشكل (٤) ؛ ففى نوع من الفافيا مثل ( Favia speciosa ) يبلغ قطر البوليب خمسة عشر ملليمترا ، وفى (Lobophyllia) يبلغ ثلاثين ملليمترا ، ولكليهما عدة زوائد طويلة تقوم بالحس والغذاء

وأضخم بوليبات المرجان هو مرجان عيش الغراب (Fungia, Mushroom coral) وهو ما يسميه الأهالى هنـــا بالطبق ، وكلا الاسمين يدل تماماً على شكله ، ويتكون من قرص كبير له زوائد قصيرة . أما النوع المعروف باسم (Fungia actiniformis) الذى يشبه زهرة البحر فى طول زوائده فلا يوجد هنا . تلك الأنواع تظهر

(١) كلمة مرجان ترجمة للكلمة الأنجليزية (coral) وهى حيوانات من الجوفمعويات لها صلة بعيدة بمرجان الزينة . وهذا الأخير لا يوجد بالبحر الأحمر أو بالشعاب المرجانية ، ولكنه يوجد بالبحر الأبيض المتوسط

طرائق تغذية المرجان بجلاء . والمعروف أن المرجان حيوان لَحِم (carnivorous) ولكن ذلك العلم ليس كالعيان . وقليل من العلماء من مكنتهم الظروف من ملاحظة تغذية المرجان . إنها تقتنص الفريسة بالخلايا اللاسعة ، وتحملها القرون والتيارات الهدبية إلى الفم . وفي مرجان عيش الغراب (Fungia) تحمل الأهداب وحدها الفريسة المشلولة ( من أثر الخلايا اللاسعة ) وفيه أيضاً نشاهد ظاهرة هامة ، وهي ارتكاس الحركات الهدبية (ciliary reversal ). وقد كانت تغذية المرجان مجالا لكثير من الشك حتى درسها ينج (Yonge) في الحاجز المرجاني العظيم بأستراليا

ويطل حيوان المرجان من هيكله الجيري في ظلمة الليل ، ويختبيء فيه نهاراً ، حتى في نور المصباح الكهربائي يبدو كأنه الجماد . ومن بين المرجان جنس يدعى تربناريا ( Turbinaria ) تطل بولبياته نهاراً فتبدو صفراء فاقعة خارج الهيكل الأصفر الداكن . أما أجمل أجناس المرجان ، فهو الدندروفيليا، ففيه يبلغ قطر البوليب سنتيمتراً ، ويرتفع كالزهرة ذات الألوان المختلفة كالأصفر أو البرتقالي أو الأحمر (D, Willeyi) أو القرمزي الأسودي (D, nigrcscens) ويظهر أن هذه الألوان تتفق مع انعدام الطحالب المعايشة ( commensal algae ) في أنسجة هذا الجنس من المرجان فلا يمكن الطحالب أن تعيش تحت هذا الحجاب من اللون الذي يحول دون أشعة الشمس إليها ، فان لون (D, willeyi) يشبه لون الورق البرتقالي الذي كان يستعمل قديماً في لف ألواح التصوير ( الفوتوغرافيا ) ليقيها الضوء ، وبينما يوجد هذا النوع في أماكن ظليلة ينمو ( D, negr-escens) كبقية المرجان في الأماكن المعرضة لضوء الشمس

وعندنا من زهور البحر ( sea anemones ) الشيء الكثير ، وليس منها ما يعدل في بهائه زهرة البحر الريشية التي نراها كثيراً في مرابي أوربا . ولكن الزهرة التي يسميها روبل ( Ruppell ) (Actinia quadricolor) من أكبر أنواع الزهور في العالم — تعيش لعدة أشهر في المربى ، وتعايشها دائماً ( كبقية الزهور الكبيرة في المنطقة الحارة ) سمكة أنيقة ( Amphibrion bicinctus ) فأينما وجدنا السمكة وجدنا الزهرة على مقربة منها والعكس بالعكس . فاذا أوجست خيفة من شيء هرعت إلى الزهرة وتحصنت بين قرونها من أعدائها . ولا نعرف لماذا لا تلسع الزهرة هذه السمكة فتقتلها كما تفعل مع غيرها ومع أكبر منها . ويمكننا أن نشاهد تبادل المنفعة بين الحيوانين إذا وضعنا معهما سردينة صغيرة . فاننا نشهد مأساة من مآسي الطبيعة التي يتألم لها الانسان ، إذ تهيج السمكة المعايشة وتطارد السردينة هنا وهناك حتى تلامس قرون زهرة البحر وتلتصق بها ، ثم لا تلبث أن تفر منها ، ولكن سرعان ما يصيبها الشلل ويعتريها الهاث فتنقض عليها السمكة وتجرها من ذنبها إلى الزهرة ، فتجاهد جهاداً عنيفاً قد تفلت بعده ، وهكذا تتكرر المأساة حتى تخر صريعة فتنطوي عليها قرون الزهرة وتزج بها إلى فيها فتخفيها ، ثم تلفظ عظامها بعد بضع ساعات . وهنا أيضاً تساعدها السمكة على التقاط الفضلات وإزالتها

وهنا على الأقل مثلان آخران للمعايشة بين زهور البحر والأسماك ، ولكننا لم نراقبهما في المربى . وفي هاتين الحالتين تكون زهرة البحر كبيرة والسمكة صغيرة جداً

يحمل بعض البشابش [1] على المحارة التي يسكنها عدداً من الزهور البحرية تبلغ الخمس أو الست ، وتكون عادة من نوع عادي لم يتحور تبعاً لهذه العادة كما تحورت الزهرة الأوربية (Adampsia)




مستعمرة من الدندروفيليا منكمشة نهاراً

(١) جمع بشبش وهو الاسم الذي يطلقه بحارة البحر الأحمر من الاعراب على ما يعرف بالانجليزية ( Hermit crab )

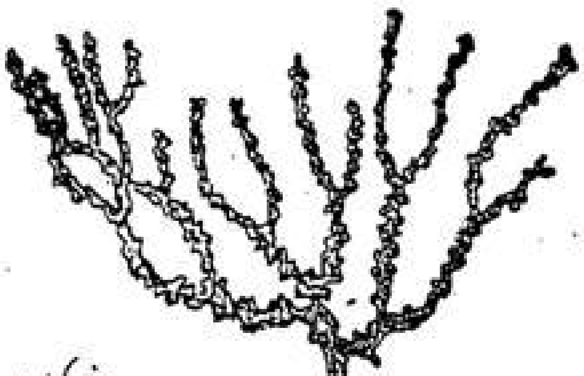
Palliata ) ، وغير هذه الزهور زهرة غريبة تتميز بقرونها الثلاثية الريشية ( tripinnate ) فتبدو الزهرة كأنها مستعمرة من الزنيا (Xenia) ( جنس من الالسيوناريا ) ، وقد حيرت نماذج محفوظة من هذه الزهرة بيلجيين لتقلصها الى كتلة لا شكل لها

أما الألسيوناريا أو المرجان اللين أو مايسميه البحارة الربلة ( Alcyonaria, soft corals ) فذات بوليبات ثمانية التماثل ، ويختلف نموها هنا عنه فى المناطق المعتدلة كما يختلف المرجان نفسه ، فبينما لا نرى فى أوربا الا ( أصابع الموتى ) ( Alcyonium digitatum, Dead men's finger ) ومروحة البحر الحمراء ( Sea fan, Gorgonia ) ، ولا يمكن الحصول على الأخيرة الا بالجراف (dredge) من قاع البحر — أما هنا فتوجد الألسيوناريا فى كل مكان بكثرة عظيمة وبأشكال متنوعة ، منها الكتل اللحمية ، ومنها الشجيرات ، ومنها النورات والمراوح . وقد حاولنا حفظ القليل منها فى المربى فلم يعش الا واحدة ( Dendronephythya ) شكل (٦) وهذه جنس متشعب لين من عائلة الألسيوناسيا ( Alcyonacia ) وتختلف عن قرائنها من



شكل (٦) مستعمرة من الدندرونفثيا مثل شكل (٥) ولكن هذه خدرت بعد التمدد ليلا وقتلت متمددة فى الصباح المبكر ، وقد رسمت بعض البوليبات عند نهاية الأفرع ، أما أكثرها فقد اكتفى بتعيين موضعه فقط

نفس العائلة فى عدة نقط مهمة ، فتعيش الأخيرة معرضة على سطح الشعب وتبدو لمن لا عهد له بها كأنها شجيرات من الطحالب السمراء ، وترجع سمرة لونها الى وجود طحالب وحيدة الخلية فى أنسجتها لا تعيش إلا معرضة لأشعة الشمس . أما الدندرونفثيا فتعيش بعيدة عن الأنظار فى شقوق بين المرجان ، ولذلك لا تأوى الطحالب معايشة كبقية أفراد العائلة . ويغلب أن تكون ذات لون قرمزى طريف ، ومنها أيضاً البرتقالى والأصفر والأبيض والأسمر والأزرق . ولا يعرف عدد أنواع هذا الجنس ، إلا أنى نجحت فى فصل نوعين فقط ، بينما لا تزال الأنواع الأخرى تنتظر البحث . ولا يتم ذلك إلا بدراسة الحيوانات الحية ، إذ لم ير أحد هذه الحيوانات وهى ناشرة بوليباتها غير من زاروا محطتنا ، أو على الأقل ليس بين الصور والأشكال المنشورة ما يوضح هذه الظاهرة . فالشكل (٥) يمثلها كما تبدو نهاراً ، فاذا وضعت فى المربى تمددت الى ثلاث مرات أو أربع طولاً ، وتنقص بنفس النسبة عرضاً ، وتغطى الأفرع الحمراء أو الوردية مئات من البوليبات كما فى الشكل (٦) وتعيش المستعمرات الصغيرة جيداً ( ليس عندنا مكان يتسع لحفظ المستعمرات الكبيرة التى تصل الى قدم فى الارتفاع ) وسرعان ما تموت الحيوانات الأخرى التى تنتمى الى نفس العائلة وتتحول الى مخاط ، ولكنها تعيش معرضة الى ضوء الشمس

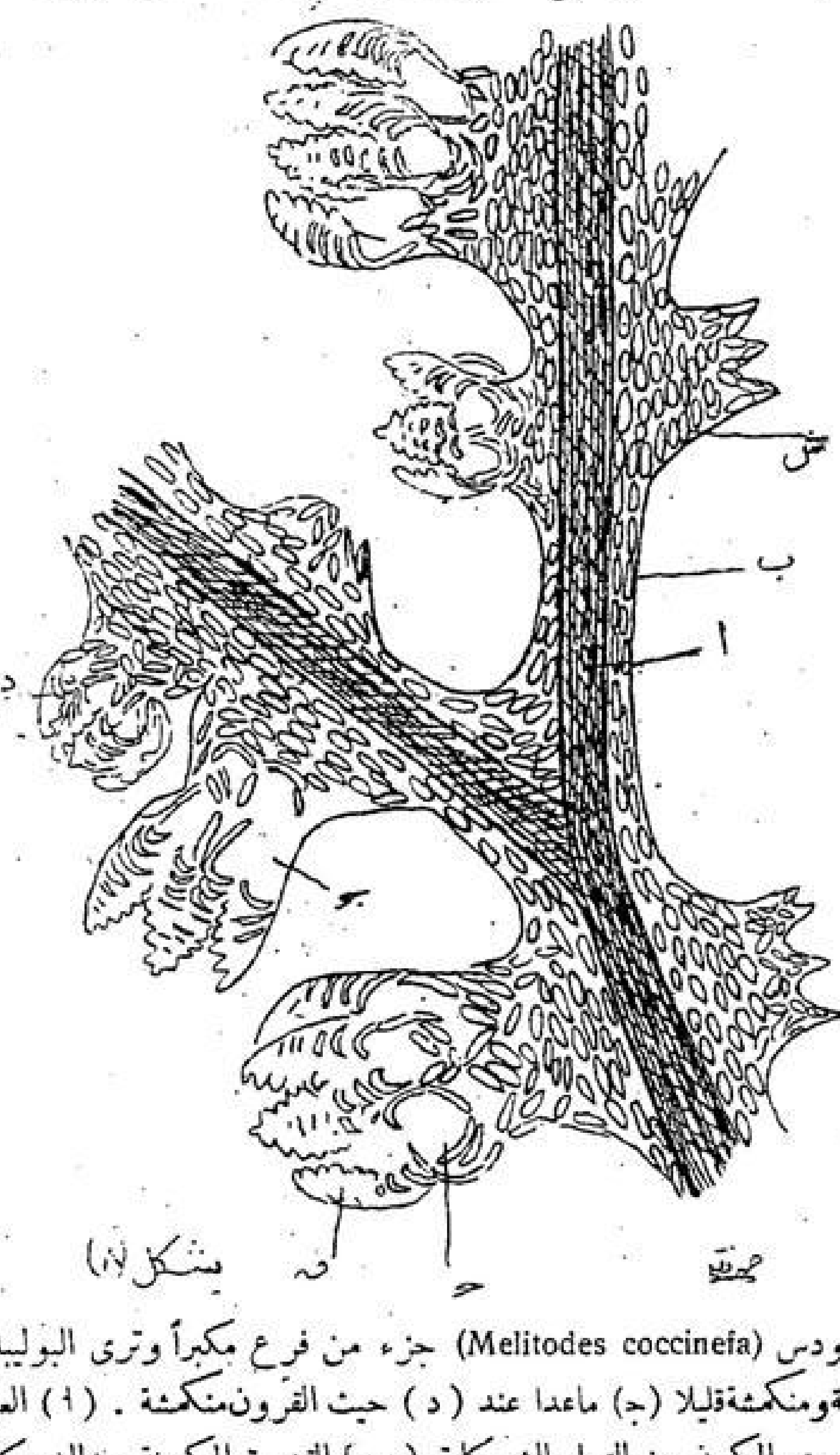


شكل (٧)

مستعمرة من المليتودس ( Melitodes coccinea ) الحجم الطبيعى

يبين الشكلان (٧و٨) جنساً آخر كثير التشعب يدعى (Melitodes coccinea ) يعيش قليلاً فى المربى ثم تختفى أنسجته الحية ويبقى هيكله ، وهو جميل فى ذاته يستحق العرض ومثل ذلك مروحة البحر التى تعرض فى المرابى فى أوربا فانها خداع نظرى وليست حية ، انما هى هياكل خاوية . ولعل أفضل ماروق الزائر من غير الاخصائيين أن يرى مرجان الزينة فى المربى ، إلا أنه معدوم فى البحر الأحمر ولكن المليتودس كوكسينيا تشبهه كثيراً غير أن عودها الصلب المكون من التحام شويكاتها (Spicules) لا يزيد غلظه على نصف المليمتر . ويبين الشكل (٨) جزءاً منها مكبراً من تحضير شفاف ، وقد ظهرت بوليباتها بارزة من غشاء رقيق يتكون من

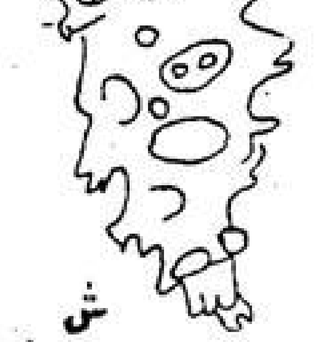
قنوات لحمية دقيقة يحجبها عدد كبير من الشويكات غير الملتحمة . وتحيط هذه القشرة من الشويكات والقنوات اللحمية بعود صلب




شكل (٨)

مليتودس (Melitodes coccinefa) جزء من فرع مكبراً وترى البوليبات مطلة ومنكمشة قليلا (ﺟ) ماعدا عند ( د ) حيث القرون منكمشة . (١) العود المحورى المكون من التحام الشويكات ( ب ) القشرة المكونة من الشويكات المتفككة والغشاء الحى الذى تتصل به البوليبات ( ش ) الشويكات

هو نظيم (homologous to) مرجان الزينة .




شكل (٩) شويكة من القشرة الخارجة للمليتودس مكبرة لتبين شكل الشويكة الحقيقى

وتمثل الشويكات فى الشكل بأجسام بيضاوية، وترى هيئتها الحقيقية فى الشكل (٩) مكبرة كثيراً . أما البوليبات فمنكمشة قليلاً وبقرونها شويكات كالعصى الملتوية . ولا تمكن رؤية هذه التفاصيل إلا إذا قتلت الحيوانات بعد تخديرها بحذق ومهارة وإلا اختفت البوليبات . لهذا السبب لا يمكن وصفها فى مئات النماذج من الألسيوناريا التى جلبتها الرحلات العلمية إلى أوربا ،

ويتوقف على هذه الشويكات وترتيبها أساس تقسيم جنس الدندرونفثيا (Dendronephthya) الى أنواعه المختلفة .. لذلك كان من ضروريات البحث فى الألسيوناريا والمرجان دراسة الحيوانات حية . ولمثل هذا النوع من البحث العلمى أنشئت محطة الأحياء البحرية بالغردقة

ويوجد لون المليتودس القرمزى فى الشويكات كما هو الحال فى كثير من الالسيوناريا . وهو ثابت جدا ولا يعرف كنهه الى الآن ، والمرجح أنه يرجع الى عوامل فيزيائية وكيميائية معاً ؛ فيجب أن يتكاتف فى دراسته البيلجى والكيميائى والفيزيائى . ومما يزيد فى صعوبة البحث أو يقلل منها أننا نجد تحت حجر واحد وتحت ظروف واحدة مستعمرات متشابهة فى كل شىء ماعدا اللون ، فقد يكون بعضها وردى اللون وبعضها قرمزيا أو أصفر ، ولا نجد أى ألوان متوسطة بين تلك كما نجد فى مرجان الزينة بين الأبيض والأحمر والوردى

هـذه أغلب أدلتنا التى نجحنا فى توفير أسباب الحياة لها فى المرابى . إلا أن هنا قليلا من الدخلاء ، فلو فرضنا أن مربى وضع فى البحر لمدة ستة أشهر لتغطى بطبقة يبلغ غلظها البوصة من قرب البحر (Ascfdians) والرخويات والأطوم (Barnacles) والأشنة البحرية (Polyzoa) مع عدد من الديدان والبزق . ولعل أمتع شىء النظر الى أعمدة رصيف ميناء الغردقة إذ تكسوها الدندرونفثيا ، ونوعان من مراوح البحر (Gorgonians) ، وقرب البحر ، والديدان الأنبوبية (Tube worms) ، والأشنة البحرية ، وغيرها ، فهى إذذاك متحف طبى . وفى المحطات الأخرى حيث ترشح المياه وتخزن لا سبيل للبرقات الى المرابى ؛ أما عندنا فالباب مفتوح لها على مصراعيه . وفى الأسابيع القليلة التى استعملت فيها المرابى باستمرار نمت لطخ صغيرة من الطحلب الجيرى ( Lithothamnion ) ونوعان من الديدان الأنبوبية وآخران من قرب البحر وواحد من الرخويات ذات المصراعين (Anomia) . فلو أن المرابى استعملت عاما مثلا لحصلنا على الشىء الكثير ، ولكن قلة النمو فى الفترة السابقة تدل على أن الفترة الحرجة فى حياة الأحياء البحرية هى تلك التى تستقر فيها البرقة وتنتقل الى حياة اليافع . ذلك الانتقال الذى يتعذر فى الطبيعة إلا على واحدة فى الألف أو بعض الآلاف ، وذلك لقلة الغذاء أو المكان المناسب لنموها

الغردقة — الدكتور كرلس كرمليس

من ذكريات لبنان

# كيف كنت غيري ؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

كنا نقصف — ذات ليلة — في فندق كبير في « ضهور الشوير » . والقصف أن نشرب ونضحك ونأكل — بعيوننا — الفتيات المشوقات اللواتي يخطرن في المرقص مع السعداء من الشبان ، وكانت الأنوار في المرقص ألواناً شتى متعاقبة ، وكان الضوء الأرجواني — حين ينساب الفتيات فيما يترقرق عليهن منه — أقوى فتنة وأشد إغراء ، فكنا ننهض عن المائدة ونتزاحم على أبواب المرقص ، وعيوننا تكاد تخرج من فرط التحديق ، وكانت هناك فتاتان تتراقصان وتأبيان أن يخاصرهما الرجال ، وكانتا ساحرتين — في جمالهما ، ودلهما ، ولعبهما ، وحركاتهما . فأغريت بهما أحد رفاقي — وكان يجيد الرقص — وأنا أقول لنفسي : « اذا راقص إحداهما عرفناها جميعاً وفزنا بصحبتهما » ولكنهما ردتاه ببسمة وكلمة رقيقة لاتغني ولا تسمن

فقلت لنفسي : « لم يبق لها إلا رجالها » ودنوت منهما وقلت وأنا أتناول كرسياً وأجلس بغير استئذان :

« أمِنْ قلةٍ في الرجال تتراقصان ؟ »

فقالت إحداهما — بعد أن ألقت الى صاحبتها نظرة :

« بل من كثرتهم ! »

فقوّى قلبي أنها ردت ، فقلت : « اسمعا مني . إن هذه النظرات الخبيثة التي تتبادلانها لن تجديكما .. ( ضحك ) وأنا باسم هؤلاء الشبان الكثيرين الذين لا أعرف أسماءهم ولا أحب أن أعرفها ...... »

فسألت احداهما : « لماذا ؟ »

فقلت : « لاتقاطعي من فضلك ! ثم إن هذا شأني وحدي ، وعلى ذكر ذلك أسألك ... هل أنت مصرية مثلي ؟ »

فقالت الخبيثة — أعني التي تتكلم — : « هل أنت مصري ؟ »

فصحت بها : « يخرب عقلك ! وهل ترين أني أتكلم إلا كما يتكلم المصري ؟ »

فضحكتا وقالت الأخرى : « هذا أحسن . لقد كنت أسأل نفسي أين يا ترى رأيتك ؟ »

فقاطعتها : « نعم إني أراك دائماً ...... »

فسألتني جادة : « أين ؟ »

فقلت : « بخيالي ... في أحلامي ! »

فقالت الأولى وهي تبتسم — لا أدري لماذا — ألست عبد .... عبد الله ؟ »

فتشهدت وقلت : « طبعاً ، طبعاً ، عبد الله حقاً وصدقاً »

قالت : « لقد كنت واثقة أني أعرف وجهك .... ألم تعرفيه يا توحة ؟ »

فأجبتها أنا : « لماذا تحرجينها ؟ دعي لها سرها حتى تهمس به في أذني ، ونحن نتمشى في غابة بولونيا ، والقمر الطالع .... »

فضحكتا وقالت توحة : « بهذه السرعة ؟ »

فقلت : « معذرة ! إن خيالي وثاب .... طيار اذا شئت ، ولكنه صادق .... لايطير إلا بجناحين من الحقيقة »

فقالت الأولى : « وكيف زوجتك ؟ »

فصحت : « إيه ؟ »

ولم أكن أتوقع أن ترميني بسؤال عن زوجتي ، وخفت أن يكون وراء السؤال شرك منصوب ، فلذت بالحذر . وقالت :

« إنما سألت كيف زوجتك ؟ »

فقلت : « زوجتي ؟؟ أوه ! آه ! مفهوم ! »

قالت : « لماذا تركتها ؟ »

فلم أدر ماذا تعني بالترك ؟ وآثرت أن أروغ فقلت :

« هل تعرفينها ؟ »

فقالت الخبيثة : « إنه يسأل هل أعرفها ؟ قولي له ياتوحة »

فدار رأسي ، وارتبكت ، فما رأيتهما قط في بيتنا ولا في بيوت أحد من أهلنا أو معارفنا ، وزاد شعوري بالشراك المنصوبة تحت كل كلمة ، ولعنت الساعة التي أقدمت فيها على كلامهما ، ولكني كنت قد تورطت ، وانتهى الأمر ، ولم تبق لي حيلة ، وخجلت أن أنهزم أمامهما فتشددت وقلت :

« ما أجمل هذه المصادفة ! بالله حدثاني عن نفسيكما . . . . إن أذنيّ معكما . . . . لكل واحدة منكما أذن . . . تكلما . . بارك الله فيكما ، وفي ليلتي هذه معكما ! »

فقالت الخبيثة : « ماذا جرى بينكما ... إلا أن يكون هذا سراً لا تحب الأفضاء به »

فقلت : « لا لا لا ... وعلى أنه لم يجر بيننا إلا ما يجرى بين الزوجين ... أعنى عادة ! »

فقالت توحة وهى تضحك : « إن الذى تعنيه أختى ... »

فسألتها « أختك ؟ »

فقالت « نعم أختى ... من كنت تظنها ؟ »

فقلت « كنت أظنها ... إ ... أ ... أختك »

فأضحكهما هـذا التخليط ، وضحكت معهما . ولما قرّت الضجة قلت :

والآن يا أختها بأى اسم تخاطبين نفسـك حين تنظرين فى المرآة ؟

فقالت : « أتريد أن تعرف اسمى ؟ »

فأردت أن أستفزها فقلت : « لا ( بفتور ) يكفى أن أعلم أنك أخت توحة »

ولكنها كانت أخبث مما توهمت ، فقالت :

« نعم كفاية . والآن ألا تحدثنا عن سبب انفصالك عن زوجتك ؟ إنها صديقتنا من أيام المدرسة ، وقد آلمنا ما وقع ، ولكن لعل لك عذراً »

فحمدت الله فى سرى على جهلها بى وبزوجتى ، وأيقنت أنى آمن معهما ، ولكني مع ذلك حاولت أن أزحزح الحديث عن هذا الموضوع فقلت :

« هذا شىء مضى ، ومن العبث الكلام فيه »

فقالت أخت توحة : « مسكينة ! »

وقالت توحة : « ما أفظع الرجال ! يأكلون المرأة لحما ، ويرمونها عظما »

وألفيت نفسى غرضاً لسخطهما ونقمتهما ، فضاق صدرى وقلت :

إنى لم أكن أحب أن أقول شيئاً ، ولكن الرجل لا يستطيع أن يظل يحتمل طول عمره أن يرى بصحاف الطعام الملآى

فصاحت توحة : « إيه ؟ ماذا تقول ؟ »

وأعجبني صوتى ، وسرنى أنى تبينت آية الدهشة فى وجهيهما فمضيت أقول :

لقد كانت تتناول قطتى البيضاء وتلعب بها الكرة ، أو تمسكها من ذيلها وتطوح بها ذراعها ، وتزعم أن هذا خير من اتخاذ الحديد للعب »

فقالت أخت توحة : « مستحيل ! لا أصدق »

وقالت توحة : « زينب تفعل ذلك ؟ ! »

فقلت : « المسألة بسيطة والبرهان حاضر ، تعاليا معى الى مصر وأنا أريكما القطة ! »

وآلمنى أن أمزق ( زينب ) هذه بالغيب ، وأدركنى عليها عطف شديد ، ولكن ماذا أصنع وقد أبت الفتـاتان الا أن تحشراها فى الحديث حشرا ، والا أن تركباها كتفى ، وتزعماها زوجة لى ، وتدعيا أنى أسأت اليها وجنيت عليها وتخليت عنها ؟

وقالت توحة : « ولكن كيف يمكن ؟ لقد كانت فى المدرسة أرق التلميذات قلباً ؟ »

فهززت رأسى وقلت : « وأشهد أنها ظلت كذلك زمناً حتى اعتادت الشراب »

فصاحتا بصوت واحد : « الشراب ؟ زينب ؟ »

قلت : نعم ، مع الأسف ! وبعد ذلك انقلبت زوبعة لا تسكن قط ... بالله اتركا هذا الحديث ... إنه يؤلمنى ... وما أفضيت اليكما بهذه الحقائق إلا لأنكما كنتما معها فى المدرسة ، فاعذرانى وانتقلا إلى كلام آخر »

***

وصرنا أصدقاء ، نلتقى كل بضعة أيام ، أعنى أنى كنت أزورهما من حين إلى حين فى مصيفهما « بضهور الشوير » ، ونخرج الى البساتين والضياع المجاورة ، ثم مضت فترة لم أرهما فيها ، واتفق يوماً أنى كنت مدعواً الى حفلة فى فندق بيروت ، فبصرت بأخت توحة واقفة تطل على البحر ، فوقفت الى جانبها وحييت ، فردت التحية بفتور فقلت :

« الجو حار »

قالت : « نعم »

قلت : « ولكن البحر يلطف الحرارة »

قالت : « نعم »

ولم يخطر لي كلام جديد فقلت :

« كبرٌ ما بنا أم جفوة ؟ »

فواجهتني وسألتني بحدة :

« ألا تزال اسمك عبد الله ؟ »

قلت : « يا فتاتي لا تجهلي ! ما زلت عبد الله حقاً وصدقاً ، وإن كنت مع هذا لا أنكر أنه غير الاسم الذي اختاره لي أبواي »

قالت : « ألا تخجل ؟ »

قلت : « إني أستحق عطفك . . لقد احتملت هذا الاسم الذي لا يبعث على الزهو ، لأنك أنت اخترته لي »

قالت : « لقد رأيت زينب . . . وأخبرك أيضاً أنها مع زوجها ، وأنهما يقضيان الصيف في لبنان . لماذا قلت عنها ما قلت ؟ »

قلت : « أي زينب ؟ »

قالت : « لا تكابر ! إنها لا تعرفك ولم ترك قط في حياتها »

قلت : « ما أضعف ذاكرة النساء ! »

قالت : « إن عذرك الوحيد — في نظري — أنك مجنون . وكلما تذكرت ما قلته عن زينب وما أضعته سدى من العطف عليك . . . »

فقاطعتها : « كلا . لم يضع . . . لقد زادني هذا حباً لك وتعلقاً بك . . . »

قالت : « ألا تزال تجرؤ على مثل هذا الكلام ؟ »

قلت : « أو يحتاج ذكر الحقيقة والإقرار بها إلى جرأة ؟ »

قالت : « وتتصور أني أصدقك أو أصدق أنك تتكلم جاداً ؟ »

قلت : « كلا . إن هذا لا يجري لي في بال . إنما أنا منظر . . ويمكنك أن تعدي كلامي صورة طبق الأصل من حديث أحلامك ونجوى أمانيك . . . وسيأتي يوم تظلم فيه الدنيا أمام عينيك ، وتحسبين أنه ما من أحد يحبك في هذه الحياة — كلنا يمر به يوم كهذا — فاذا جاء — أعني ذلك اليوم — فقولي لنفسك . . كلا . إني مخطئة . فان في الدنيا قلباً يخفق بحبي ، بحبي مخلصاً ، . . »

فقالت : « إنك مجنون ولا شك »

قلت : « وفي أثناء ذلك ترين شخصيتي الجميلة الجذابة تتفتح تحت عينك كما تتفتح غلائل الزهرة تحت أشعة الشمس . . »

قالت : « لن أصغي لك »

قلت : « اذن احضري معي هذه الحفلة ، وكوني فيها ملاكي الحارس »

فصاحت بي : « لن أغفر لك هذا »

فقلت : « إني لست عبد الله ! ولكني عبده والله ! »

فابتسمت ، فقلت : « هذا أحسن . وأين توحة ؟ »

قالت : « لو كانت هنا لما نجوت بهذه السهولة »

قلت : « الحمد لله — أعني على النجاة لا على غيابها . اذهبي بي إليها »

قالت : « والحفلة ؟ »

قلت : « تستطيع أن تنتظر — أعني الحفلة — فان مرضاتها — أعني توحة لا الحفلة — أولى وأندى على كبدي . »

وكان هذا هو السر الذي لم يعرفه المحتفلون ، في أن حفلتهم تأخرت نصف ساعة . فليت حظي من كل حفلة نصف ساعة كهذه !

ابراهيم عبد القادر المازني

بين فن التاريخ وفن الحرب

# ١٣ - خالد بن الوليـــــد *

## فى حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهاشمى

رئيس أركان الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعـــير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

والواقع أن خالداً أيضاً كان راغباً فى الصلح دون أن يلجأ إلى القتال . وهــذا ما دعاه إلى أن يخفف الشروط . فتعاهده مع بنى حنيفة ينص على أن يسلموا الذهب والفضة ونصف السبى والسلاح والخيل ، وأن يأخذ هو كل قرية ومزرعة وحائط ( حديقة مسورة ) باسم بيت المال ، وأن يسلموا أنفسهم حتى يسلموا . أما البلاذرى فيروى أن المعاهدة فرضت على بنى حنيفة ربع السبى ونصف الذهب والفضة والسلاح

ولعل هــذه الرواية هى الصحيحة ، لأنها تدل على تساهل خالد فى عقد الصلح . ويذكر الطبرى أن أبا بكر أرسل كتاباً إلى خالد مع سلامة بن وقش يأمره إن أظفره الله بأن يقتل من جرت عليه المواشى من بنى حنيفة — يريد بذلك أن يقتل من قاوم من الحنفيين — فوصل الرسول بالكتاب بعد عقد المعاهدة . فأراد الأنصار أن يستغلوا أمر الخليفة ، فطلبوا إلى خالد أن ينفذ ما جاء فى الكتاب ، وكان أسيد بن حضير رئيس الأوس على رأسهم . إلا أن خالداً لم يلتفت إليهم ، بل وفى لبنى حنيفة وثبت على ما كان منه لجمع بنى حنيفة إلى البيعة والبراءة

ويذكر ابن حبيش الأسباب التى ألجأت خالداً إلى عقد الصلح ومخالفته كتاب الخليفة ، وهى تتلخص فى كثرة الخسائر التى انتابت المسلمين فى المعركة ، إذ قل عدد المسلمين وكان أكثرهم جريحاً . وبعد عقد المعاهدة لا يجوز النكول عنها ، ولا سيما أن بنى حنيفة أسلموا . وتنقل الرواية أن سلامة بن وقش أيضاً أصر على خالد بتنفيذ أوامر الخليفة . غير أن خالداً لم يغير رأيه واعتبر القضية منتهية

ومع ذلك استعمل خالد الشدة فى معاملته أهل العارض وبعض قرى بنى حنيفة . فقرية سيوح وعرفة والغبراء وقيشان ومرءة والمصانع اعتبرت فى خارج أحكام المعاهدة ، فسبى أهلها وصادر أملاكها . والروايات لا تبحث فى أسباب هذه الشدة ، غير أنه يلوح لنا أن أهل هذه القرى إما أنهم حاولوا الاخلال بشروط الصلح ، وإما أنهم قتلوا المسلمين غدراً ، وإما أنهم مثلوا بالمسلمين فى بلاد اليمامة قبل الحركات

### المناقب

يستنتج الباحث من حركات اليمامة بعض المناقب التى ينبغى الوقوف عليها ، وهى تدل على سجايا العرب الأولين مسلميهم ومرتديهم ، وتوضح لنا بعض المزايا الكامنة التى مكنت العرب من الانتصار على أعدائهم فى الشرق وفى الغرب

### المنقبة الأولى — التضحية

كان ابن عمر عبد الله وأخوه زيد بن الخطاب فى الجيش الذى قاتل فى عقرباء . وكان زيد على ما نعلم يقود القلب ، وقد استشهد فى المعركة مشجعاً المسلمين ومدافعاً عن رايتهم

ويذكر الطبرى أن عبد الله بن عمر لما رجع إلى المدينة قال له أبوه : « ألا هلكت قبل زيد ؟ هلك زيد وأنت حى »

فأجاب ابنه قائلاً : « قد حرصت على ذلك أن يكون ، ولكن نفسى تأخرت فأكرمه الله بالشهادة »

وفى رواية أخرى قال عمر لابنه : « ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألا واريت وجهك عنى ؟ » . فأجاب عبد الله : « سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدت أن تساق إلى فلم أعطها »

والتضحية كلمة مرادفة للبطولة ، وهى من أخطر العوامل فى حضارة الأمم إن لم تكن أخطرها . ولا أغالى إذا قلت إن تاريخ الحضارة مكتوب بمداد هو دماء الأبطال المراقة ومساعيهم المبذولة من أجل بنيان صرح التمدن الباذخ بجميع أركانه الأدبية والعلمية

(*) وهو بحث فنى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل « الرسالة »

والسياسية . ولولا التضحية لما خرج الانسان الأول من الغاب والكهف الى المدينة والقصر . والعرب لولا بطولتهم فى تضحيتهم لما تربعوا فى قصور بغداد والشام والقاهرة والحمراء ، ولظلوا تائهين فى مجاهل باديتهم القاحلة الجرداء ، ولخنق الاسلام فى مهده . فالتضحية رفعت عمد الأديان ، ونشرت ألوية العلوم ، ووضعت أسس الدولة قديمها وحديثها ، وسمت بابنائها الى أوج العز والسؤدد ، وقمة المجد والصولة . أجل إن العرب من الأمم الفاتحة المفطورة على البطولة والتضحية ، إلا أن نبيهم العظيم جاءهم برسالة وضع بها نصب أعينهم مثلاً أعلى هو إيمانهم الوطيد ، فبرزت نفوسهم الى ذلك المثل الأعلى على حد تعبير علماء النفس ؛ وحصروا وجدانهم فى ايمانهم القوى ، فضلاً عن دافع غيرتهم على أحسابهم . وقوة ذلك الايمان زادتهم إقداماً على التضحية التى تجلت بأروع مجاليها فى حروبهم ، ولاسيما فى حروب خالد بن الوليد ، ومنها حروب الردة التى نحن بصددها . فهذا عبد الله بن عمر أنبه أبوه لأنه رجع حياً دون أن يستشهد فى الذود عن ايمانه أو مثله الأعلى . ولا تزال روح التضحية متغلغلة فى نفوس العرب والأعراب حتى اليوم . وما أكثر الروايات المنقولة عن رجال العرب ونسائهم من ميادين القتال فى التضحية العربية المجيدة فى ثوراتهم الأخيرة فى الأقطار العربية ، دونها ماروى عن رجال اسبرطة ونسائها بهذا الصدد . يروى عن امرأة عربية عراقية أنها كانت تشجع أبناءها السبعة فى إبان الثورة العراقية فى سنة ١٩٢٠ ، وكانت كلما سقط أحد أبنائها فى حومة الشرف تنشد قائلة : « يا موت اطحن وأنا اهالَك » — أى يارحى الموت اطحني الرجال وأنا أقدم اليك أبنائى !

## المنقبة الثانية — السياسة

كان مجاعة بن مرارة من رؤساء بنى حنيفة ، وقد وفد على الرسول وأسلم فاقطعه أرضاً ، فلما ثار مسيلمة ببني حنيفة وادعى النبوة كان مجاعة معه . ويلوح لنا أنه كان يدارى مسيلمة من جهة ويراقب حركات جيش خالد من جهة أخرى . فلما وثق بتقدم جيش خالد نحو اليمامة استفاد من الشغب الثائر على مسيلمة ، فخرج مع بعض رجاله من اليمامة طالباً الثأر من بنى عامر وبنى تميم . ولعل طلب الثأر كان حجة لخروجه من اليمامة قبل وصول جيش المسلمين إليها . ولما باغتته طليعة المسلمين فى ثنية اليمامة استحياه خالد لعلمه أنه ينفعه فى قتاله فى اليمامة وحبسه عنده كالرهينة وتركه فى فسطاطه قيد مراقبة زوجه أم تميم . فلما تغلب الحنفيون على المسلمين وأزاحوهم عن المعسكر دخلوا الفسطاط وهموا بقتل أم تميم فمنعهم مجاعة من ذلك صارخاً فى وجههم « مه ! أنا جار لها فنعمت الحرة ! عليكم بالرجال ! »

وفى رواية أن مجاعة عاهد أم تميم على أن يساعدها اذا انتصر الحنفيون على المسلمين ، وعلى أن تساعده هى بدورها اذا انتصر المسلمون على أهله . ولما انتهت المعركة عرض مجاعة الخدمة على خالد وطلب اليه أن يتوسط فى عقد الصلح ، فقبل خالد ذلك ، وأوفده الى بنى حنيفة حاملاً شروط الصلح . وكان مجاعة قد علم بأن المسلمين كابدوا خسائر فادحة ، وأن الحرب أنهكت قواهم ، لأنه تفقد مع خالد ميدان المعركة وأطلعه على قتلى الحنفيين ، وهو الذى دلهم على جثة المحكم بن الطفيل وجثة مسيلمة . ولاشك أنه تأكد شدة مصاب المسلمين . فلما ذهب بمهمته تيقن شدة الشروط التى فرضها خالد على بنى قومه فأراد أن يخدمهم خدمة يخلص بها قومه من هذه الشروط القاسية ويمهد السبيل لاستلانة جانب خالد . وفى مثل هذا الموقف دبر حيلة أثبت بها دهاءه

وكانت الحيلة التى دبرها — كما يرويها الرواة — تتلخص فيما يلى : « دخل مجاعة الحصون وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفاء ، فظاهر الحديد على النساء — أى ألبسهن الدروع وسلحهن — وأمرهن بأن ينشرن شعورهن ويشرفن على رؤوس الحصون إلى أن يرجع إليهن » ، وبذلك أراد أن يظهر لخالد أن القوم لا يزالون فى حصونهم متأهبين للدفاع لكى يحمله على تخفيف الشروط . فلما عاد قال لخالد : « إن القوم قد أبوا أن يخبروا ما صالحتك عليه ، ولكن ان شئت صنعت شيئاً فعرضت على القوم » يريد بذلك أن يخفف خالد من شروط الصلح . وحدق المسلمون من بعيد إلى الحصون ، فرأوا عليها الناس ظانين أن بنى حنيفة محتلوها وأنهم عازمون على الدفاع

ولقى مجاعة صعوبة فى حمل المخالفين من بنى حنيفة على قبول شروط الصلح . وكان سلمة بن عمير يقول لبنى حنيفة : « قاتلوا عن أحسابكم ولا تصالحوا على شىء » . أما مجاعة فيقول لهم : « يا بنى حنيفة أطيعونى واعصوا سلمة فانه رجل مشئوم ، قبل أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن مسيلمة ، قبل أن تستردف النساء غير رضيات ، وينكحن غير حظيات »

والرواية تقول إن بني حنيفة أطاعوا مجاعة وعصوا سلمة . وكان من أمر حيلته أن أقنع خالداً بأن يخفف شروط الصلح . ففرض الربع من السبي والنصف من الذهب والفضة والسلاح والخيل بعد ما كان قد طلب أن يعطوه كل ذلك . فلما فرغ من الصلح ، وفتحت الحصون أبوابها إذا هو لم يجد فيها إلا النساء والصبيان . فقال خالد لمجاعة : « ويحك خدعتنى » فقال مجاعة : « قومى ، ولم أستطع إلا ما صنعت »

لم يسق مجاعة توجهه لقومه ولا استهواه حب الانتقام فطاش حتى يدع بني جلدته يلقون أنفسهم في مهاوى الهلاك ، بل كان مخلصاً في قضيته ، وعمد مجاعة إلى الحيلة الواسعة فصان بقية قومه من أشراك الهلاك ، وخفف عنهم وطأة الانكسار الهائل ، فكان في تلك السياسة مصلحة بني حنيفة

المنقبة الثالثة — العصبية القومية

كان سلمة بن عمير يشجع الناس على المقاومة ، وقد رأى من الذل أن يتحكم المسلمون في بني قومه بعد أن قاتلوا قتال الأبطال منعاً لحوزتهم ودفاعاً عن نسائهم . وكان يرى الموت ولا يرى النساء تستردف غير رضيات وينكحن غير حظيات . وقد قتل مسيلمة وابنه شرحبيل وصُرع محكم اليمامة ابن طفيل . أبعد كل هذا يرضى بالهوان ؟ بل الموت أولى دون التسليم بالشروط التي يشترطها خالد . فيصرخ في أصحابه : « قاتلوا عن أحسابكم ولا تصالحوا على شيء » ثم يعود فيشجعهم على المقاومة قائلاً : « فإن الحصن حصين والطعام كثير وقد حضر الشتاء »

لقد قارن بنو حنيفة بين ما قاله سلمة وما قاله مجاعة ، ورأوا أن لا قبل لهم بالمسلمين ، فلم يروا بداً من التسليم بشروط الصلح ولا سيما أن مجاعة دبر الحيلة ليموه على المسلمين بقوة الحنفيين للدفاع ويخفف من وطأة الصلح . فلم يحفل سلمة بكل ذلك ، بل أضمر سوءاً لخالد ولم يحتمل إهانة الغلبة لقومه فاجمع على أن يفتك به . ولما حشر بنو حنيفة إلى البيعة والبراءة طلب سلمة من مجاعة أن يستأذن له في الدخول على خالد ليكلمه في حاجة له . فأقبل سلمة مع بني قومه مخبئاً سيفه تحت العباءة ، فلما رآه خالد لم يقبله ، ولعله كان يعلم كرهه له ، فأخرجوه عنه وفتشوه فوجدوا معه السيف ، فثار ثائر الحنفيين فأخذوا في سبه ولعنه صارخين في وجهه ، أتريد أن تهلك قومك وتستأصل بني حنيفة وتسبى الذرية والنساء ؟ فاوثقوه ووضعوه في الحصن . غير أن سلمة أقسم أن يثأر لبني قومه . لذلك يعاهدهم على ألا يُحدث حدثاً فيعفون عنه . فلم يصدقوه ولم يقبلوا منه عهداً . أعيته الحيلة ولم ير بداً من الافلات ليفتك بخالد مهما كلفه الأمر . فيهرب من الحصن ليلاً ويعمد إلى معسكر خالد ، ويصيح في وجه الحرس فيفزع بنو حنيفة فيتبعونه حتى يدركوه في إحدى الحدائق المسورة فيقاومهم بالسيف فيكتنفونه بالحجارة فيرى أن جميع الأبواب موصدة في وجهه ، وأنه غير قاتل خالداً ، فالأولى أن ينتحر ولا يرى المسلمين يسبون الذرارى ، فيضرب نفسه بالسيف ، ويسقط في البئر فيموت

مبادئ خالد الحربية

تم الحركات التي قام بها خالد في قتاله أهل الردة على المبادئ الحربية التي نهجها . وفي هذه المبادئ أسس لا تختلف كثيراً عن الأسس التي اتخذها القواد العظام وأصبحت من المبادئ الحربية الخالدة . نذكر فيما يلي بعض تلك الأسس :

أولاً — التوفيق بين القيادة والسياسة : يبدو لنا من الخطط التي وضعها خالد للحركات على طليحة بن خويلد ومسيلمة الكذاب والتدابير التي اتخذها بعد الانتصار أن خالداً من القواد الذين وفقوا دائماً بين القيادة والسياسة . وأصبح هذا الأس في عصرنا من أخطر عوامل الظفر . ويقيناً أن من أكبر العوامل التي حالت دون استثمار الانتصارات الباهرة التي أحرزها نابليون في حروبه على الحلفاء عدم توفيقه بين السياسة والقيادة . وكذلك من العوامل التي أدت إلى خيبة الألمان في الحرب العامة نظر قادتهم إلى الأمور من الوجهة الحربية فقط ، وعدم توفيقهم بين السياسة والقيادة

فنرى خالد بن الوليد في الخطة التي وضعها للحركات على طليحة بن خويلد أنه وفق بين السياسة والقيادة ، فلم يقدم جيشه إلى بزاخة إلا بعد أن مهد له سبيل الانتصار بجلب قبائل طيئ إلى جانبه وفصل الفرقتين : جديلة وغوث عن بني أسد والاستفادة فعلاً من القوة التي أمدت قبائل طيئ بها جيش المسلمين

وبعد انتصاره في بزاخة نراه يفرض على القبائل تقديم عدد معين من السلاح . وفي ذلك تعزيز لجيشه وإضعاف لشأن خصمه

وقبل أن يتقدم بجيشه نحو اليمامة يسعى قبل كل شيء لاستمالة التميميين الذين التجأوا إلى مسيلمة واخراج جماعة سجاح من

ميدان العمل . ولما ظفر ببني حنيفة لم يتردد فى عقد الصلح معهم على أساس التساهل برغم مخالفة رؤساء الأنصار والمهاجرين له ودون أن يعمل بأمر الخليفة الصريح . وقد ذكرنا مجمل الأسباب التى ألجأت خالداً إلى ذلك . ولخالد مواقف تدل على استعماله الشدة واللين تبعاً لمقتضى الحال

ثانياً — الاستطلاع : لقد عني خالد بالاستطلاع فى جميع حركاته . وقبل تقدمه نحو بزاخة يوفد قوة استطلاع بقيادة عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم . وفى حركاته على بنى تميم يوفد أمامه السرايا للتجسس والاستطلاع . أما فى حركات اليمامة فيرسل مكنف بن زيد الخيل وأخاه ليتسقطا الأخبار . وكان فى جميع حركاته على اتصال مستمر بالخصم الذى يريد أن يضربه للاطلاع على شؤونه والقيام بالحركة فى الوقت الملائم

ثالثاً — المطاردة : من الأسس التى اعتمدها خالد فى حركاته القيام بالمطاردة بعد المعركة . وقد يختلف فى أسلوب مطاردته عن الأسلوب الشائع الآن ، وهو يتطلب سوق أقصى قوة فى اليد لقطع خط الاتصال على العدو المنسحب . أما خالد فكان يوفد السرايا فى اتجاهات مختلفة للتفتيش عن العدو المنهزم والقضاء عليه أينما وجدته . فالعدو بعد انكساره لم ينسحب الى محل معين كما هو شأنه اليوم ، وذلك لأن الحياة فى البادية تساعد المنهزمين على الالتجاء إلى أحياء مختلفة . هكذا كان شأنه فى مطاردة بنى أسد وفزارة بعد انتصاره فى بزاخة . وهكذا كان عمله بعد معركة عقرباء . فلم يشأ أن ينازل الحصون ، بل أوفد السرايا لتلتقط من كان خارج الحصون

رابعاً — الأبداع : لم يتأخر خالد لحظة فى استعمال إبداعه الذاتى حين تطلب الموقف ذلك . وهو يشذ عن الأوامر الصادرة اليه متى رأى الفرصة سانحة للعمل بمخالفة الأوامر . فتراه بعد أن أنهى أمر بنى أسد فى بزاخة واطلع على أحوال بنى تميم وتأكد أن الفرصة سانحة للتقدم أمر جيشه بالحركة برغم الأوامر الصادرة اليه والقاضية بألا يتقدم من محل إلى محل آخر قبل أن يتلقى أمر الخليفة . فالأنصار يذكرونه بأمر الخليفة الصريح . إلا أن خالداً يقول لهم إنه هو الأمير واليه تنتهى الأخبار ، وإن لم يأته أمر من الخليفة لا يريد أن يضيع الفرصة مادام مالك بن نويرة حياله وبطون بنى تميم نافرة منه

خامساً — التنظيم : اتضح لنا من حركات خالد أنه ينظم جيشه ويقسمه إلى أقسام ، ويعين لكل قسم قائداً . ويعرض الجيش بنفسه قبل أن يتحرك . ففى ذى القصة ينظم جيشه قبل الحركة ، وفى البطاح ينظمه ويعين لكل قسم منه قائداً . وقبل القتال يجعل على كل قسم من نظام القتال قائداً خاصاً . وبعد انكسار المسلمين فى عقرباء ودخول الأعداء الفسطاط يغير خالد تعبئة الجيش فيضع أهل القرى فى جانب وأهل البادية فى جانب آخر للأسباب التى سبق ذكرها

سادساً — حشد القوات : رأينا خالداً فى جميع حركاته يحشد جميع قواته قبل المعركة ولا يشتتها . فيسير على طريق واحد ويسير به نحو الهدف دون أن يضعفه بفرز بعض القوات منه لمقاصد أخرى . وكان يفرز قوة من جيشه ويوفدها الى الأمام مقدمة بقصد الامن والاستطلاع ، وأحياناً يقيم له ردءاً فى الخلف ليحمى خط الانسحاب . وكانت المقدمة دائماً تشترك فى المعركة مع الكوكب ( القسم الأكبر )

سابعاً — التعرض : لقد اتخذ خالد فى جميع حركاته خطة الهجوم ، ففى بزاخة ، يهجم بجميع قواته على قوات طليحة بن خويلد ، وفى عقرباء يتقدم نحو العدو ويهاجمه فى بلاده . وكان يتوخى الهدف ولا يحيد عنه قط . والهدف عنده هو محو العدو من سفر الوجود

انتهى البحث

طه الهاشمى

الى مؤتمر الفردوسى

# ٣ – بين القاهرة وطوس

## من همذان الى طهران

للدكتور عبد الوهاب عزام

ثم مررنا بكنكاور بعد ساعتين من كرمانشاهان . وهى قرية صغيرة بها آثار معبد قديم . وبعد ساعة مررنا بقرية أسد آباد ، وهى قرية السيد جمال الدين الأفغانى ، وبها بعض قرابته . كذلك أخبرنى بعض الثقاة . ويقول الأفغانيون إنه من أسد آباد القريبة من مدينة كابل . وكذلك أخبر السيد عن نفسه . ومهما يكن فقبيح أن تتنازع رجال الأسلام العظام عصبية الأقوام والبلدان . فقد كان المسلمون أمة واحدة لها موطن واحد هو دار الاسلام ، والسيد جمال الدين عربى هاشمى حسينى ، ولكنه كما قال الشاعر:

أبى الأسلامُ لا أب لى سواه  إذا افتخروا بقيس أو تميم

فنحن بنو الأسلام والله واحد  وأولى عباد الله بالله من شكر

فان أراد المسلمون أن يفترقوا أقواماً وبلداناً وشيعاً ، فلا يظلموا أسلافهم العظماء بزجهم فى هذا المعترك ، فقد كانوا أعظم نفوساً وأسمى أفكاراً من أن تحيط بهم عصبيات اللحوم والدماء ، والأرض والبناء

وأسد آباد قرية أسسها أسد بن ذى السرو الحميرى فى زعم الرواة ، وهى على مرحلة من همذان الى الجنوب والغرب منها ، فى حضيض جبل ألوند (جبل أسد آباد) ، وكانت منزلاً كبيراً على الجادة العظمى بين بغداد وهمذان ، وكانت فى العهد الأسلامى الى عصر المغول غنية رائجة التجارة ، كثيرة السكان ، نشأت كثيرا من العلماء . وهى اليوم قرية صغيرة . وعندها كانت الموقعة الكبيرة بين السلطانين السلجوقيين محمود بن محمد بن ملكشاه وأخيه مسعود سنة أربع عشرة وخمسمائة . وعلى ثلاثة فراسخ من أسد آباد أبنية ساسانية تعرف فى الكتب العربية باسم مطابخ كسرى

ثم ارتقينا جبل أسد آباد ، وهو جبل شامخ فسيح ، تتراءى بين قممه وأوديته مناظر جميلة جليلة ، محبوبة هائلة ؛ رأيناه وقد ذبلت أعشابه ورياحينه وأشجاره . وقيل لنا إنه فى الربيع يبدو فى حلل رائعة من الأزهار مختلفة الألوان ، لا يعرى منها مكان فى القمم والأودية ، وتُرى الطرقُ جدائدَ على سفح الجبل ، تتمعج فيها السيارات صاعدة وهابطة ، وقد عدّ سائقو السيارات فى بعض الطريق اثنتين وسبعين ثنيّة ، فما ينعطف السائق الى اليمين إلا لينعطف الى اليسار ، وهكذا اثنتين وسبعين مرة أو أكثر . ولكن الطريق فى جملتها ممهدة واسعة مأمونة ، لم نشعر فيها بالخوف الذى أنذرنا به من قبل

هذه همذان الجميلة ، فى حجر جبلها الأشم ، جبل ألوند . تبدو فى زينة من أشجارها الباسقة ، وبساتينها الواسعة . هذه بلدة بديع الزمان ، وأحمد بن فارس ، وابن الفقيه . هذا مرقد الشيخ الرئيس أبى على بن سيناء ، ليت الوقت يتسع فنقضى بهمذان أياماً نتعرف حاضرها ، ونتلمس أعلام التاريخ من ماضيها

همذان مدينة عظيمة قديمة ، ذكرت فى الآثار الفارسية القديمة باسم هگمتانة ، وهى فى التوراة أحمتنا ، وفى كتب اليونان أكبتانا . وقد لجأ اليها دارا بعد أن هزمه اسكندر فى موقعة « أربل » حتى قال ابن حوقل إنها كانت هى وأرباضها فرسخاً مربعاً . وصارت حاضرة لبعض دول السلاجقة . وقد روى ابن الفقيه الهمذانى وياقوت كثيراً من أخبارها وما قاله الشعراء فيها ، وبردها شديد جداً . وقد روى فى ذلك أن عبد الله بن المبارك قدمها ، فأوقدت بين يديه نار ، فكان إذا سخن باطن كفه أصاب ظاهرها البرد ، وإذا سخن ظاهرها أصاب باطنها البرد فقال :

أقول لها ونحن على صلاء  أما للنار عندك حرّ نار

لئن خـيّرت فى البلدان يوماً  فما همذان عندى بالخيار

وقال آخر :

همذان متلفة النفوس ببردها  والزمهرير ، وحرها مأمون

غلب الشتاء مصيفها وربيعها  فكأنما تموزها كانون

وقيل لأعرابى كيف رأيت همذان ؟ فقال أما نهارهم فرقّاص ، وأما ليلهم فحمّال ، يعنى أنهم بالنهار يرقصون لتدفأ أرجلهم ، وبالليل يحملون ثياباً كثيرة

دخلناها والساعة واحدة بعد الظهر ، فنزلنا فى دار بظاهرها ، اسمها باغ رئيس الاسلام ، وهى دار جميلة ذات حديقة كبيرة ، وفيها مجلس واسع حول حوض عظيم . نزلنا بها فاسترحنا وتغدينا ، وجلسنا برهة وأخذت صورتنا

وقد رأيت صاحبنا السندباد الذى ذكرته آنفاً يرتب الحاضرين

لأخذ الصورة . فقلت يا سندباد أنت في كل مكان ولكل عمل . انك أبو الفتح الأسكندرى أو أبو زيد السروجي ، فقال الأستاذ منورسكي : هذا ابن بطوطة . ومما أذكر من لطائف هذا المجلس أن أحد مندوبي الهند محمد اسحاق ، نظر إلى أشجار عنب قصار ، فسألني ما هذا ؟ قلت كرم ولكنه صغير ، فقال إذاً ما كذب الثعلب في الحكاية المعروفة ، حين قال هذا حصرم . فعنب هذا الكرم في متناول الثعالب . ثم خرجنا لزيارة قبر الشيخ الرئيس ، دخلنا الباب إلى رحبة تنتهي إلى بابين أيسرهما باب مكتبة صغيرة عامة ، والأيمن مكتوب فوقه « آرامگاه أبو على بن سينا » أي مرقد أبي علي بن سينا . دخلنا حجرة صغيرة بها قبران متشابهان يغطى كلا منهما صفيحة واحدة من الحجر عليها نقوش كثيرة . ويحيط بها سياج من حديد . فالقبر الذي يلي الباب قبر الشيخ الرئيس ، والذي إلى جانبه قبر رجل اسمه أبو سعيد . قال بعض أصحابنا إنه أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي المعروف . وليس هذا صدقاً فابن أبي الخير مات في خراسان

ثم ذهبنا لزيارة مزار هنالك يعظمه اليهود ويحجون اليه ، ومن أجله كثر عددهم في همذان حتى صاروا زهاء ألفين — وهو في زعمهم قبرا ايستر ومردخاى . وهما امرأة ورجل من اليهود ، لهما قصة في التوراة في « سفر ايستر » . وخلاصة القصة أن ايستر كانت في حضانة ابن عمها مردخاى في مدينة سوس ، وأن ملك الفرس أخشويرش غضب على امرأته وشتى ، وأراد أن يختار غيرها ، فعرضت عليه فتيات مملكته ، فاختار ايستر اليهودية وحظيت عنده . وكان هامان وزير الملك قد نقم على مردخاى أنه لا يسجد له كما يسجد الناس ، فأغرى الملك باليهود وأخرج أمره بقتلهم حيثما ثقفوا في المملكة . وكاد مردخاى وايستر لهامان حتى أمر الملك بصلبه على الخشبة التي أعدّها هو لصلب مردخاى ، وكتب الملك إلى الولاة ألا ينفذوا أمره في اليهود وأن يسلطوا اليهود على أعدائهم فيقتلوهم

والقبران كبيران عليهما سياجان ، وهما في حجرة ذات قبة لها مدخل صغير واطئ لا يدخله الداخل إلا راكعاً

قضينا في همذان ثلاث ساعات ونصفا ، ثم برحناها والساعة أربع ونصف ، متوجهين تلقاء قزوين

برحنا همذان ، وما قضت النفس منها لبانة
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وبعد ساعة نزلنا منزلاً على الطريق اسمه رزان ، وقد أعد لنا الشاي والفاكهة ، والفستق والحمص واللوز الخ ، فرأينا ضرباً من الحمص والفستق كبيراً لم نر مثله من قبل . وكان سير دنسُن رُس ، والشاعر الانكليزي درنكووُتر قد سبقا إلى هذا المنزل ، إذ فارقا همذان قبل الركب دون أن يزورا قبرى ايستر ومردخاى ، فطال بهما الانتظار في هذا المنزل ، فلما بلغته أنا ورفيقي عبد الكريم الحسيني قابلني أستاذي رُس دهشاً يقول : لماذا تأخرتم ! هل زرتم ايستر ومردخاى ! قلت نعم . قال هل ألقى فلان هناك محاضرة طويلة ؟ قلت محاضرة قصيرة . قال ذلك ما ظننت . قد تأخرنا جداً وأظلم الليل . ثم سرنا قبل أن يدركنا الرفاق في طريق موحشة تتخللها قرى وضياع قليلة ، منها مكان اسمه آب گرم أي الماء الحار فيه حمّة ، أي ينبوع ماء حار . وقفنا للاستراحة ورؤية الينبوع ، فتركنا السيارة ومشينا وراء رجل يحمل مصباحاً حتى أتينا النبع ، فاذا حجرة فيها حوض يفور منه الماء ، فقلت لصاحبي : ما أحسنه حماماً لو هيئ له بناء . وكم في الشرق من معادن ومياه أغفلتها الأفكار والأيدي ! واستأنفنا السير ، وطال بنا السفر ، حتى لاحت قزوين تحت ظلام الليل ، فوردناها متعبين والساعة تسع ونصف من المساء ، وقدم بقية الركب بعد ساعة . بتنا في دار جميلة بجانب كنيسة روسية . وقد وهبت الدولة الروسية هذه الدار والكنيسة وما يتصل بهما للدولة الايرانية

وقزوين بلد قديم ذكره بطليموس باسم قسابين . وهي على الجادّة العظمى من بغداد إلى خراسان ، وتلتقي عندها طرق القوافل الآتية من الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فمن أجل ذلك اتسع عمرانها في القديم وراجت تجارتها ، وهي على مقربة من جبال ألبرز ، ويجرى عندها نهر صغير يفضي إلى نهر أبهر ، وتبعد عن طهران مائة وخمسين كيلاً

وكانت قبل الأسلام وبعده ثغراً لمحاربة الديلم . وقد مصّرها سعيد بن العاص بن أمية ، وجعلها مغزى أهل الكوفة . وأغزى الحجاج ابنه محمداً الديلم ، فنزل قزوين وبنى بها مسجداً سمى بعد مسجد الثور . وبنى موسى الهادي مدينة بجوارها عرفت بمدينة موسى . وبنى المبارك التركى مولى المأمون أو المعتصم حصناً بها سمّاه المباركية . وروى ياقوت « اجتاز الرشيد بهمذان ، وهو يريد خراسان ، فاعترضه أهل قزوين ، وأخبروه بمكانهم من العدو ، وعنائهم في مجاهدته ، وسألوه النظر لهم ، وتخفيف ما يلزمهم

من عشر غلاتهم فى القصبة . فسار إلى قزوين ودخلها ، وبنى جامعها ، وكتب اسمه على بابه فى لوح حجر . وابتاع بها حوانيت ومستغلات ، ووقفها على مصالح المدينة ، وعمارة قبتها وسورها» .

وقد ذكرها بديع الزمان باسم الثغر ، فى المقامة القزوينية التى أولها ، غزوت الثغر بقزوين ، سنة خمس وسبعين . وروى بعض المحدثين أخباراً فى فضائل قزوين ، والحث على الاقامة بها لكونها من الثغور . وقد ذكرت فى الشعر العربى . ومن ذلك قول الطرماح ابن حكيم

خليلى مد طرفك هل ترانى  ظعائن باللوى من عوكلان
ألم تر أن عرفان الثريا  يهيج لى بقزوين احتزانى

وقد نشأت قزوين جماعة من العلماء والأدباء ، منهم زكريا ابن محمد صاحب عجائب المخلوقات المتوفى سنة ٦٨٢ ، وحمد الله المستوفى المؤرخ صاحب تاريخ گزيده ، ونزهة القلوب فى الجغرافيا ، المتوفى سنة ٧٥٠ ، وأبو حاتم محمود بن الحسن الفقيه الشافعى أخذ عن الأسفرائينى والباقلانى ، وأخذ عنه الشيرازى وله كتب كثيرة ، منها كتاب الحيل فى الفقه وتوفى سنة ٤٤٠ ، ومنهم الحكيم شاه محمد ، الذى أخذ عن جلال الدين الدوانى ، وذهب الى مكة للمجاورة فدعاه السلطان بايزيد الثانى الى استانبول فعاش فى رعايته ورعاية سليم وسليمان من بعده ، وكتب التفسير والعقائد والفلسفة ، وترجم حياة الحيوان للدميرى الى الفارسية

تركنا قزوين والساعة تسع ونصف من صباح الأربعاء ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ (٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٤) ، فبلغنا طهران بعد الظهر ، ونزل جماعة منا فى الفندق الكبير (جراند أوتيل) وآخرون فى الفندق النادرى

عبد الوهاب عزام

# ٥ـ محاورات أفلاطون

## معذرة سقراط

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

قد يذهب بكم الظن أني إنما أتحداكم بهذا كما فعلت حينما حدثتكم عن الضراعة والبكاء، كلا فليس الأمر كذلك، إنما أقول هذا لأنني أعتقد أني لم أسيء الى أحد عامداً، ولا أظنني قادراً على إقناعكم بذلك في هذا الحوار القصير، فلو كان في أثينا قانون — كما هي الحال في سائر المدن — لا يبيح حكم الأعدام في يوم واحد، لاستطعت فيما أعتقد أن أقنعكم، أما الآن فالفترة وجيزة، ولا يمكنني أن أدحض في لحظة هؤلاء المدعين الفحول، وإن كنت كما ظننت لم أسيء الى أحد فلن أتقدم بالأساءة الى نفسي قطعاً. وإذن فلن أعترف بنفسي بأني حقيق بالسوء، ولن أقترح عقوبة ما. ولماذا أفعل؟ أخوفاً من الموت الذي يقترحه مليتس؟ على حين أني لا أعلم إن كان الموت خيراً أم شراً! لماذا أقترح عقاباً فيكون شراً مؤكداً لا مفر منه؟ أأقترح السجن؟ ولماذا أزج في غياهبه فأكون عبداً لحكام هذا العام — أعني الأحد عشر؟ أم أقترح أن أعاقب بالتغريم، وأن أسجن حتى تدفع الغرامة؟ فالاعتراض بنفسه قائم، لأنني لابد أن ألبث في السجن لأنني لا أملك مالاً ولا أستطيع دفعاً. وإن قلت النفي (وربما قر رأيكم على هذه العقوبة) وجب أن يكون حب الحياة قد أعمى بصيرتي، لأنكم وأنتم بنو وطني لا تطيقون رؤيتي ولا تسيغون كلامي، لأنه في رأيكم خطر ذميم، فوددتم لو نجوتم من شرى عسى أن يطيقه سواكم، فما حياتي في هذه السن، ضارباً من مدينة الى مدينة، مشرداً أبداً، طريداً دائماً، يلفظني البلد في إثر البلد، فما أرتاب في التفاف الشبان حولي أينما حللت كما فعلوا هنا، فلو نفضتهم رغبوا الى أوليائهم في طردي فاستجابوا لرجائهم، ولو تركتهم يسعون الى طردي آباؤهم وأصدقاؤهم صوناً لأنفسهم

رب قائل يقول: نعم ياسقراط، ولكن ألا تستطيع أن تمسك لسانك حتى اذا ارتحلت الى مدينة أخرى ما اشتبك انسان معك؟ وعسير جداً أن أفهمكم جوابي عن هذا السؤال، فلو أنبأتكم أني لو فعلت ذلك لكان عصياناً مني لأمر الله، ولذلك لا أملك خبساً للساني، لما صدقتم أن يكون جدا ما أقول. ولو قلت بعد ذلك إن أعظم ما يأتيه الانسان من خير هو أن يحاور كل يوم في الفضيلة وما يتصل بها مما سمعتموني أسائل فيه نفسي وأسائل الناس، وإن الحياة التي تخلو من امتحان النفس ليست جديرة بالبقاء، كنتم لهذا أشد تكذيباً، ولكني لا أقول إلا حقاً وإن عز على إقناعكم بصدقه. إني لم أعهد نفسي جارمة تستأهل العقاب، ومع ذلك فلو كان لدى مال لاقترحت أن أعطيكم ماأملك، ولم يكن ذلك ليضيرني في شيء، ولكنكم ترون أني لا أملك مالاً، لا بل أظنني قادراً على دفع مينة واحدة (المينة تساوي مائة دراخمة) ولذا أقترح هذه العقوبة. إن أصدقائي: أفلاطون، وكريتون، وكريتوبوليس، وابولودورس، وهم بين الحاضرين، يرجون مني أن أقول ثلاثين مينة، يضمنون هم دفعها؛ حسناً، إذن فاحكموا بثلاثين مينة، ولتكن هي عقوبتي، وأحسب هؤلاء كفلاء بدفعها

أيها الأثينيون! لن تفيدوا بقتلي إلا أمداً قصيراً، وستدفعون له ثمناً ما تنطلق به ألسنة السوء تذيع عن المدينة العار. ستقول عنكم إنكم قتلتم سقراط الحكيم، فسيدعونني وقتئذ بالحكيم وإن لم أكن حكيماً تقريعاً لكم. ولو صبرتم قليلاً لظفرتم بما تبتغون بطريق طبيعتهم، فلقد طعنت في السن كما ترون، ودنوت من أجلي. إنما أسوق هذا الحديث الى هؤلاء الذين حكموا عليّ بالموت، وأحب أن أضيف اليهم كلمة أخرى: قد تحسبون أن اتهامي جاء نتيجة لعيٍّ لساني، فلو قد آثرت أن أفعل كل شيء وأن أقول كل شيء، لجاز لي أن أظفر بعفوكم، ولكني لم أفعل ذلك، فليس عيا في لساني ما أدى الى إدانتي، ولكنه ترفعي عن القحة والصفاقة، وصدوفي عن مخاطبتكم بما كنتم تحبونني أن أخاطبكم به: بالعويل والبكاء والرثاء، وأن أقول وأفعل كثيراً مما تعودتم استماعه من الناس، وهو لا يجمل بي كما ذكرت، فقد رأيت واجبي ألا أتبذل في العمل، أو أسف في ساعة الخطر، ولست آسف على ما سلكت من طريق للدفاع، فاني لأوثر

خطتى التى رسمتها ولو أدت بى الى الموت ، على أن أصطنع خطتكم احتفاظاً بالحياة . فلا يجوز لانسان فى ساحة الوغى أو أمام القانون أن يلتمس أى سبيل فراراً من الموت ؛ فلو ألقى المحارب بسلاحه فى المعمعة ، وجثا على ركبتيه أمام مطارديه لظفر غالباً بالنجاة من الموت . ولكل ضرب من ضروب الخطر طرق للنجاة من الهلاك ، اذا لم يتعفف المرء عن كل قول وكل فعل مهما يكن شائناً . فليس عسيراً أيها الأصدقاء أن نفر من وجه الموت ، ولكن العسر كل العسر فى تجنب الأخلاق الفاسدة . فالفساد والموت يعدوان فى أعقابنا ، ولكن الفساد أسرع من الموت عدواً . فأنا الذى اكتهلت ، إنما أسير سيراً وئيداً ، فيكاد يدركنى أبطأ العادين ، أما المدعون فسراع متحمسون ، وسيلحق بهم أسرعهما — أعنى الفساد . وبعد ، فسأترك موقفى هذا ، وقد جرى على قضاؤكم بالموت ، وكذلك هم سينطلقون كل الى سبيله ، وقد قال فيهم الحق كلمته ، بأن يعانوا ماهم فيه من ضعة ، ولابد لى أن أخضع لما حكم على به ، وعليهم كذلك أن يرضوا بما كتب لهم . أحسب أن قد جرى القدر بهذا جميعاً ، فعسى أن يكون خيراً ، ولا أحسبه إلا كذلك

وبعد ، فيا هؤلاء الذين أجروا على قضاءهم ، ها كم نبوءتى التى أحب أن أبلغكم إياها ، لأنى مُشرف على الموت ، وتلك ساعة يوهب فيها المرء مقدرة على التنبؤ . أتنبأ لكم يا قاتلىَّ بأنه لن يكاد ينفذ حكم الموت حتى ينزل بكم ماهو أشد من ذلك هولاً . لقد حكمتم بموتى ، لأنكم أردتم أن تفلتوا من ذاك الذى يتهمكم ، ولكيلا تحاسبوا على ما قدمت أيديكم ، ولكن لن يكون لكم ما ترجون ، بل نقيضه . فسيكون متهموكم أوفر عدداً منهم اليوم ، اذ سيهب فى وجوهكم من كنت أُمسكهم حتى الآن ، وسيكون أولئك أشد قسوة عليكم لأنهم دونكم سناً ، وسيذيقونكم من العذاب أكثر مما تذوقون اليوم ، فان حسبتم أنكم خالصون من متهمكم بقتله ، كى لا ينغص عليكم عيشكم ، فأنتم مخطئون ؛ إذ ليست تلك سبيلاً مؤدية الى الفرار ، ولا شىء مما يشرفكم ، وأيسر من ذلك وأشرف ألا تهاجموا الناس ، بل تبادروا باصلاح أنفسكم . تلك هى نبوءتى التى أبلغها الى القضاة الذين حكموا علىَّ ، قبل رحيلى

وأنتم أيها الأصدقاء الذين سعوا الى براءتى ، أحب كذلك أن أتحدث اليكم عما وقع ، عند ما يشغل الرؤساء ، وقبل أن أذهب الى مكان مدتى ، فالبثوا قليلاً ، لأننا نستطيع أن يتحدث بعضنا إلى بعض ما دامت هناك فسحة من وقت . أنتم أصدقائى ، وأحب أن أدلكم على معنى هذا الذى وقع . يا قضاتى — فأنا أدعوكم قضاة بحق — أحب أن أحدثكم بأمر عجيب ، لقد كانت مشيرتى حتى الآن ، تلك المشيرة التى عهدتها فى دخيلتى ، لاتفتأ تردنى فى توافه الأمور ، إن كنت مقدماً على زلل أو خطأ فى أى شىء ، والآن — كما ترون — قد داهمنى ما يحسبه إجماع الناس أقصى الشرور وأقساها ، ولم تُلوِّح لى مشيرتى بعلامة المعارضة حينما تركت دارى فى الصباح ، ولا حين كنت أصعد إلى هذه المحكمة ، ولا حين ألقيت كل ما اعتزمت أن أقوله ، ومع أنى عورضت كثيراً أثناء الحديث ، إلا أن المشيرة لم تعارضنى فى كل ما قلت أو فعلت مما يتصل بهذا الأمر ، فبم أعلل هذا ، وكيف أفهمه ؟ سأخبركم : إنى أعد هذا دليلاً على أن ما حدث لى هو الخير ، ويخطئ من يظن منا أن الموت شر . هذا دليل ناهض على ما أقول ؛ لأن الاشارة التى عهدتها لم تكن لتتردد فى معارضتى لو كنت مقبلاً على الشر دون الخير

لنقلب النظر فى الأمر ، وسنرى أن ثمت بارقة قوية من الأمل تبشر بأن الموت خير . فاحدى اثنتين : إما أن يكون الموت عدماً وغيبوبة تامة ، وإما أن يكون كما روى عنه الناس تغيراً وانتقالاً للنفس من هذا العالم الى عالم آخر . فلو فرضتم فيه انعدام الشعور ، وأنه كرقدة النائم الذى لا تزعجه حتى أشباح الرؤوس ، ففى الموت نفع لا نزاع فيه ، لأنه لو أتيح لانسان أن يقضى ليلة لا يزعج نعاسه فيها شىء ، حتى ولا أحلامه ، ثم قارنها بما سلف فى حياته من ليال وأيام ، وسئل بعد ذلك : كم يوماً وليلة قضاها بين أعوامه وكانت أبهج من تلك الليلة وأسعد ؟ فلا أحسب أحداً — ولا أختص بالقول أحداً — بل لن يجد حتى أعظم الملوك بين أيامه ولياليه كثيراً من أشباهها . فاذا كان الموت كهذا فأنعم به ، وليس الخلود إذن إلا ليلة واحدة ! أما إن كان الموت ارتحالاً الى مكان آخر ، حيث يستقر الموتى جميعاً كما يقال ، فأى خير يمكن أن يكون أعظم من هذا أيها الأصدقاء والقضاة ! وإذا كان حقاً

أنه اذا بلغ الراحل ذلك العالم السفلى ، خلص من أساطين العدل فى هذا العالم ، وألفى قضاة بمعنى الكلمة الصحيح ، إذ يقال إن القضاء هناك فى أيدى مينوس ، ورادامنتوس ، وايكوس ، وتربتوليموس وسائر أبناء الله الذين عمروا حياتهم بأقوم الأخلاق ، فما أحب إلى النفس ذاك الارتحال ! وهل يضن الرجل بشىء اذا أتيح له أن يتكلم مع أورفيوس ، وموسيوس ، وهزيود ، وهوميروس ؟ كلا ، لو كان هذا حقاً فذرونى أمت مرة ومرة ، فسأصادف متاعاً رائعاً فى مكان أستطيع فيه أن أتحدث الى بالاميدس ، وأچاكس بن تلامون ، وغيرهم من الأبطال القدامى الذين تجرعوا المنون بسبب قضاء ظالم ، ولا أظنني حين أقارن الآن آلامى بآلامهم إلا مغتبطا مسروراً . وفوق كل هذا فسأتمكن من استئناف بحثى فى المعرفة الحق ، والمعرفة الزائفة ، وكما فعلت هنا سأفعل فى العالم الثانى ، وسأكشف عن الحكيم الصحيح ، وعمن يدعى الحكمة باطلاً . بماذا يضن الرجل أيها القضاة اذا أتيح له أن يمتحن قائد الحملة الطروادية الكبرى أو أوذيس ، أو سسفوس وغيرُ هؤلاء ممن لا يقعون تحت الحصر رجالاً ونساء ؟ ألا ما أعظمها غبطة لا تحد ، تلك التى أجدها فى نقاشهم ومحاورتهم ، لأنهم فى ذلك العالم لن يقضوا على أحد بالموت من أجل هذا . كلا ولا ريب ، هذا فضلاً عما يصادفه الناس فى ذلك العالم من سعادة عزت على هذه الدنيا ، فان صح ما يقال فهم ثمت خالدون

فابتسموا إذن للموت أيها القضاة ، واعلموا علم اليقين أنه يستحيل على الرجل الصالح أن يصاب بسوء ، لا فى حياته ولا بعد موته ، فلن تهمله الآلهة ، ولن تهمل ما يتصل به ، كلا ، ولَيست ساعتى الآزفة قد جاءت بها المصادفة العمياء ، فلست أرتاب فى أن الموت مع الحرية خير لى ، ولذلك لم تشر مشيرتى بشىء

ولست لهذا غاضباً من المدعين ، أو ممن حكموا علىّ ، فما نالتنى منهم إساءة ؛ ولو أن أحداً منهم لم يقصد إلى أن يعمل معى خيراً ، وقد أعاتبهم لهذا عتاباً رقيقاً

وإن لى عندهم لرجاء . فأنا ألتمس أيها الأصدقاء ، إذا ما شب أبنائى ، أن تنزلوا بهم العقاب ، وأحب أن تؤذوهم كما آذيتكم ، وذلك إن بدا منهم اهتمام بالثروة ، أو بأى شىء أكثر مما يهتمون بالفضيلة ، أو إذا هم ادعوا أنهم شىء ، وكانوا فى حقيقة الأمر لا شىء . إذن فأنحوا عليهم باللائمة كما فعلت معكم ، لأهمالهم ما ينبغى أن يبذلوا فيه عنايتهم ، ولظنهم أنهم شىء على حين أنهم فى الواقع لاشىء . فاذا فعلتم هذا ، أكون قد نالني ونال أبنائى العدل على أيديكم

لقد أزفت ساعة الرحيل ، وسينصرف كل منا إلى سبيله — فأنا إلى الموت ، وأنتم إلى الحياة ، والله وحده عليم بأيهما خير

(يتبع) زكى نجيب محمود

# الأنتكيرة

## هم الانجليز لا الاسبان

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذا هو رأيى فى ذلك النص الذى سأنقله بعد عن وزيرنا الخطير لسان الدين بن الخطيب فى كتابه (الأحاطة فى أخبار غرناطة ج ٢ ص ٢٤) وقد كتبت ذلك فى جريدة البلاغ الغراء (٨ - ٣ - ١٣٥١ هـ ١٢ - ٧ - ١٩٣٢م) تحت عنوان (الأنجليز فى القرن الثامن الهجرى كما يصفهم سياسى مسلم) أما الأستاذ محمد لبيب البتنونى فيرى فى كتابه (رحلة الأندلس) أن الأنتكيرة الذين وردوا فى ذلك النص من كتاب الأحاطة هم الأسبان، وقد ذكر ذلك فى كتابه (رحلة الأندلس ص ١٦٠) بدون أن يعنى بتحقيقه أو يخطر بباله أنهم أمة أخرى غير الأمة الأسبانية، فيحمله ذلك على العناية باثبات رأيه، بل ذكره كأنه قضية مسلمة، وأمر مفروغ من صحته

وقد قرأت كتاب الأستاذ البتنونى من شهور، ومن يوم أن قرأته وأنا أحاول أن أبين له صحة ما ذهبت اليه فى « الرسالة » الغراء، فيحول بينى وبين ذلك اشتغالى بغيره من أمور عنيت بها قبله، وهأنذا اليوم أمضى فيما عزمت عليه من ذلك، ولا أحاول به أن أنتقص شيئاً من فضله، فان فضله أكبر من أن تؤثر فيه زلة من زلات القلم، ولكل جواد كبوة

ذكر لسان الدين فى كتاب الأحاطة من حوادث سنة ٧٦٧ للهجرة أن بطرة بن الهنشة ملك أسبانيا حينما غلبه أخوه القمط على الملك التجأ الى ابن صاحب (الأنتكيرة) المعروف ببرقسين، وبين أول أرضه وبين قشتالة ثمانية أيام، فأعانه بجيش ذهب معه الى اسبانيا، فحارب به أخاه حتى غلبه واسترد ملكه، وقد رأى لسان الدين بن الخطيب حرب هذه الأمة الجديدة (الأنتكيرة) أو سمع به فلفت نظره اليها وجعله يلقى فيها نظرة سياسى صادق الفراسة قد شاهد أفول نجم أمته فى تلك القارة، فوقف ينظر من بعيد إلى من يخلفها فيها فأعجبه حال هذه الأمة الناشئة فى حروبها وأخلاقها، وأخذ يوازن فى ذلك بينها وبين أمة العرب فى نشأتها، وكأنى به كان يقدر لها مستقبلا مثل مستقبلها، وحكما متسعاً فى الأرض مثل حكمها، وقد صدقت فراسته فى هذه الأمة، وأدت بها أوصافها التى أعجبته منها ولفتت نظره إليها الى ما يقدر لكل أمة تتحلى بهذه الأوصاف، وتتجمل بتلك الشيم، وهذا هو الذى قاله فيها: « وحال هذه الأمة غريب فى الحماية الممزوجة بالوفاء، والرقة والأستهانة بالنفوس فى سبيل الحمية عادة العرب الأول، وأخبارهم فى القتال غريبة من الأسترجال والزحف على الأقدام أميرهم ومأمورهم، والجثو فى الأرض أو الدفن فى التراب، والأستظهار فى حال المحاربة ببعض الألحان المهيجة، ورماتهم قِسِيُّهم عربية جافية، وكلهم فى دروع، ولا لجام عندهم، والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع، ورماتهم يسبقون الخيل فى الطراد، وحالهم فى باب التحلى بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب »

فهذه أوصاف تنطق بنفسها أنها لأمة غريبة عن أرض الأندلس ومن فيها من نصارى ومسلمين، هذا إلى أن التاريخ الأنجليزى قد ورد فيه ما يؤيد رواية ابن الخطيب من ذهاب ذلك الجيش منهم الى أرض الأندلس فى الزمن الذى عينه ابن الخطيب له، فقد بلغت هذه الأمة فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى (القرن الثامن الهجرى) درجة عظيمة من التقدم السياسى والحربى على عهد ملكها (إدورد الثالث) وكانت له حروب كثيرة مع الفرنسيين انتصر فيها عليهم، وبينما كانت جيوشه تفعل ذلك مع فرنسا بقيادته، كانت زوجه تقود جيشاً آخر حاربت به اسكتلندا وأسرت ملكها، ثم جهزت جيشاً آخر سارت به الى أسبانيا. فحاربت الأسبانيين وهزمتهم، وهذه هى الغزوة التى ذكرها لسان الدين بن الخطيب فى سنة ٧٦٧ هـ لأن مدة ولاية ادورد الثالث على انكلترا كانت بين سنتى (١٣٢٧ — ١٣٧٦ م)، وهذه السنة الهجرية تقع فى هذه المدة

فهذا ما يؤيد رأينا من الناحية التاريخية، وأما الناحية اللغوية فهذا الاسم (الأنتكيرة) من الأسماء التى أطلقها مؤرخو العرب على أمة الأنجليز، ولم تخل من بعض تحريف لبعد ديار هذه الأمة عنهم، وما كانت فيه من عزلة بجزرها عن غيرها من الأمم، ولم يبتدىء تاريخ الأمة الأنجليزية إلا فى نحو سنة ستين قبل الميلاد، وكانت جزائرها تسمى عند الرومانيين (بريطانيا)

وكانوا يسمون سكانها بريطون ، وقد فتحوها سنة ٨٣ بعد الميلاد ، ثم استقلت هذه الأمة بجزرها فى أوائل القرن الخامس الميلادى ، فقامت فيها حروب وفتن كثيرة مزقت شملها وأضعفتها ، ولم تزل مضطربة بالحروب الداخلية وغزوات المجاورين لها ، الى أن استولى عليها بعض الجرمانيين ؛ فطردوا سكانها الأصليين إلى الأقاليم المجاورة لها ، ثم فتحها ( أغبرت ) سنة ٨٢٣ ميلادية ، وجعل نفسه ملكاً عليها ، وهو أول ملك قام بها ، وكان يلقب نفسه ملك انكلتيرة

وقد عرف المسلمون هذه الأمة بعد الرومانيين ، إلا أنهم لم يتصلوا بها ولم يعرفوا أمرها تمام المعرفة ، وكان هذا سبباً فيما وقع من اضطرابهم فى اسمها ، فسماها قدماء مؤرخيهم (الأنكتار) وبعضهم كان يسميها ( الأنكتير ) ولعل كلمة ( الأنتكيرة ) فى ذلك النص الذى نقلناه عن لسان الدين بن الخطيب عن هذه الأمة محرفة عن هذه التسمية ( الأنكتير ) بتقديم التاء على الكاف وزيادة التاء المربوطة التى زادها بعضهم بعد ذلك على هذا الاسم كما سيأتى

ثم ذكر صاحب كتاب ( الروضتين فى أخبار الدولتين ) هذه الأمة باسم ( انكلتيرة ) وكان المسلمون قد اختلطوا بهذه الأمة فى الحروب الصليبية فعرفوا حقيقة اسمها وأضافوا إليه اللام التى كان يسقطها قدماؤهم منه ، وصاحب كتاب الروضتين هو أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ وكتابه فى أخبار الدولة الأتابكية والدولة الأيوبية

وقد ذكرهم بعد هذا فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى باسم ( الأنكليز ) صاحب كتاب ( المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ) وهو أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم وقد ذكر فيه أخبار هذا الأقليم إلى سنة ١٠٩٢ هـ والأنكليز سمك كالحية يكثر فى البحر الذى توجد فيه الجزائر البريطانية فسموا هذه الأمة باسمه ، ويسمى أيضاً الأنكليس والجنكليس ، ولم يسم هذه الأمة من مؤرخى العرب فيما أعلم بالأسم الذى كان يسميها به الرومانيون إلا صاحب كتاب ( صبح الأعشى ) فقد ذكرها باسم ( بريطانيا ) ولم نجد من سماها بهذا الأسم غيره

فهذا هو رأينا فيما ورد فى ذلك النص من أخبار أمة الأنتكيرة . ولعل الأستاذ البتنونى يعلم فى ذلك ما لا نعلم فينشر ما عنده فيه على صفحات الرسالة الغراء لنصل فى ذلك إلى الصواب الذى هو غايتنا جميعاً

**عبد المتعال الصعيدى**

# نجوى النيل

للاستاذ محمود الخفيف

مضيت إلى النهر وقت الطَّفَلْ ... وقد لبس الأفق أبهى الحُلَلْ
وألقت عليه ظلالُ الغروب ... صفاء تتوق اليه المقلْ
ورَفَّت على الشط خضر الرياض ... وراق الخريف بها واعتدلْ
ولاح لىَ النيل فى منظر ... تناهى الجمالُ به واكتملْ
تَرَوَّحت النفسُ فيه الهدوءَ ... ولاحت لعينى سِماتُ الجذلْ
تذكرت قولىَ فى عَذْله ... فأشْرَبَ وجهىَ صِبْغُ الخجلْ
ورحت أجدد عهد الولاء ... كمن تاب عن ذنبه فاستهلّ

* * *

أتيتك يا نيل مستغفراً ... وعندك يُنْسى رقيق العَذَلْ
فمنك الوفاء ومنك الصفاء ... ومنك المودة منذ الأزلْ
وما كان عتبىَ إلا الوداد ... وما كان ودّىَ بالمفتعَلْ
لئن عدتُ أُحْكِمُ فيك القريض ... فلى فى صفاتك وِرْدٌ عَلَلْ
يروق حديثك إما استعيد ... وما هو إن طال بالمبتذَلْ
ويَملك قلبىَ حين أراك ... لذيذُ الخيال وحلوُ الثَّمَلْ
طيوفٌ من الحسن رفَّافةٌ ... تريك من السحر ما يُستحلْ
ألذُّ من الحلْم جَمَّ الرُّؤى ... ليالىَ عهد الصبا المُقْبِلْ
وأعذب من خلجات المنى ... وأجملُ من بارقات الأمَلْ
وأطيب من ذكريات الغرام ... وألطفُ من لمحات الغزَلْ
وأشهى من الماء حلوَ الصفاء ... تَسَلسلَ حولك بعد الغلَلْ
وأنْضَرُ من باكرات الربيع ... تحلّى بها الكون بعد العَطَلْ
وأبهى من الصبح فى مهده ... تبسّم فى داكنات الكِلَلْ
وأندى من الكون عند الشروق ... رفيفَ الحواشى نقىّ الظُّلَلْ
وأروع من بسمات الضحى ... وومض الأصيل وصفو الطَّفَلْ

جمالك يا نيل أعيا البيان ... ودق فقصّر عنه المثلْ

* * *

تدفّقُ مائك يوحى إلىّ ... مناظرَ فيضك أنّى هطَلْ
فأصبو لمرآك بين الدّغال ... وحول الشّعاب وفوق القُلَلْ
حيال تِسانا وما حولها ... وعند نيانزا وبحر الجبلْ
وحيث خطرت بسودان مصر ... لطيف الأناة حليم النُّقَلْ
وحيث انهَلّلْتَ بأعلى الصعيد ... وقد عجّ بموجك لما اتّصلْ
يروع فؤادىَ هذا العباب ... وكيف تلاقى وكيف انتقلْ
وأعجب ماذا يروم الدخيل ... حيال تدفّقه المتّصلْ؟!
وكيف يُقطّع هذا الوريد ... وتأمن مصرُ دنوّ الأجلْ؟

* * *

يشعّ الخلود على جانبيك ... ويصحو الفؤادُ لكرّ الدّوَلْ
وأقرأ فيك سجلّ الزمان ... وأسمع همسَ العصور الأُوَلْ
شهدتَ الحضارةَ فى مهدها ... وحسنَ تفنّنها المرتجَلْ
وشب الزمان على ضفتيك ... بطىء العصور طويلَ المَهَلْ
فآنست فى مصر عهد النبوغ ... وعهدَ العظائم لما حفَلْ
إلى أن بلوت بمصر الهوان ... وكيف ثناها الونَى والخزَلْ
هتفت بفرعون فى عزه ... وأنكرت فرعون لما خَمَلْ
وساءك قمبيز يغزو البلاد ... ويبذر فيها بذورَ الخَلَلْ
وراعك إسكَنْدَرٌ مُقبلا ... سريعَ الفتوح وثيقَ العَجَلْ
وقيصرُ حين غزَته الجفون ... وجازت عليه ضروبُ الحِيَلْ
فألقى السلاح على بأسه ... وهام بسحر العيون النُّجُلْ
وكم بطل فتنته العيون ... وكم ملّكَ الحبُّ حتى قتَلْ
تلقيت عمرا لقاء الحنيف ... تراءى الهلالُ له فابتهلْ
وهللت حين أقام الحدود ... وحين تقصّى وحين عدَلْ
وحين توسم فيك الجلال ... فنمق فيك رصين الجُمَلْ
وجاء بوصف تلته القرون ... وما عرفت فيه بعض المَلَلْ
دهاك الفرنسىُّ فى جنده ... وجندك يا نيل بعضُ الهمَلْ
تلفتُّ حولك مستنجداً ... فلم تلق حولك غير الفشَلْ
إلى أن تلقى زمام الأمور ... بمصر من الشرق فرد بطَلْ
فأحيا بواديك ميْتَ الرجاء ... وقد دهش الدهر مما فعَلْ

* * *

تفيّأت حيناً ظلالَ النعيم ... إلى أن دهاك المصاب الجلَلْ
فجاس العدو خلال الديار ... وغالتك يا نيل شر الغيَلْ
حباك الوعودَ ولكنه ... أقام لديك السنين الطُّوَلْ
فيوماً يمد حبال الرجاء ... ويوماً يثير عقيم الجدَلْ
ويوماً يجيشك مستأسدا ... يجرب فيك صنوفَ الوهَلْ
ألم تر بالأمس كيف افترى ... وكيف تعامى وكيف ختَلْ؟
وكيف رماك بأدهى الخصوم ... وكان بواديك أصل العِلَلْ؟
لقد بات يتلو حديث الوفاق ... وهل يخطبُ الذئبُ وُدّ الحَمَلْ؟
مللنا لعمرىَ هذا النفاق ... وملنا إلى الجد بعد الهزَلْ
وقمنا نحطمُ عنا القيود ... ونخلع عنا رداء الكسَلْ
تحركْتَ بالأمس مستعدياً ... وأنكرت يا نيل عهد الخطَلْ
وقد كنت قبلُ مثالَ الهدوء ... ولكن أثارك طولُ الزّلَلْ
وشعبك مثلك فى صمته ... وإن حسبوه سكوتَ الوجَل
وما قرّ موجُك إلا استجم ... وما إن تناقص حتى كمَلْ
وما نسىَ الشعبُ تاريخه ... وما نام عن مجده أو غفَلْ
أبىٌّ وإن دهمته الخطوب ... فتىٌّ وإن زعموه اكتهلْ
سرى فيه يا نيل منك الخلود ... وألهمَ مثلك حبَّ العمل
وما كان سرُّك مستحدثا ... وما كان مجدُك بالمنتحل
سيمضى الزمان على جانبيك ... وتبقى كما كنت منذ الأزل

**الخفيف**

---

**نجوم السينما للأستاذ فخرى أبو السعود**

سقط من هذه القصيدة المنشورة فى العدد ٧٥ بعض أبيات شوهت من جمالها فنرجو المعذرة

# بين الشاعر وبين نفسه

بقلم عبد الحق فاضل

هو — مالى أرى الوجه الجميـ    ـل عليه آثار الضنى ؟
إنا بأفراح الشبا    ب عن الكآبة فى غنى
تبكين ..؟ لهفى ! أى خط    ب حلّ يا (نفسى) بنا ؟
هى — من أين جئتُ ؟ ولِمْ أعيـ    ـش ؟ وما الحياة ؟ وماأنا ؟؟

هو — فيم التأمل والتألم    والتبرم يا حبيبه ؟
وأشدّ من وقع المصيـ    ـبة أن نفكر فى المصيبه
هيا بنا ، يامنيتى    نلهو بأحلام الشبيبه
هى — من أين جئت ؟ ولم أعيـ    ـش ؟ وما الحياة ؟ وما أنا ؟؟

هو — لا يارفيقة ! لا تطيـ    ـلى الفكر فى كنه الأمور
هذا الشباب يسير مو    كبه على عجل ، فسيرى
أخشى عليكِ إذا أضعـ    ـنا الوقت، من وخز الضمير ؟
هى — من أين جئتُ ؟ ولم أعيـ    ـش ؟ وما الحياة ؟ وما أنا ؟؟

هو — كفّى بربك ! واتركيـ    ـنا نمش فى سبل الكمال
فبما لدىّ من القوى ،    وبما لديك من الجمال
نبنى لنا مجداً رفيـ    ـعاً ، لا يصير إلى زوال
هى — من أين جئت ؟ ولم أعيـ    ـش ؟ وما الحياة ؟ وما أنا ؟؟

هو — إن الفَراش يحوم حو    ل الزهر يجهل ما غَوى
والطير يسجع فى الغصو    ن ، مشبباً لا عن هوى
قومى نُحِم ، هيا نغنّى ،    قبل أن تقع النوى
هى — من أين جئت ؟ ولم أعيـ    ـش ؟ وما الحياة ؟ وما أنا ؟

هو — كل الأحبة ، ياحبيـ    ـبة ، فى وئام واتفاق
إلا أنا ! مع قربنا ،    أشكو تباريح الفراق
لم يُقصِنى الهجران منـ    ـك ، ولم يقربنى اشتياقى !!
هى — من أين جئت ؟ ولِمْ أعيـ    ـش ؟ وما الحياة ؟ وما أنا ؟؟
من أين جئت ؟ ولِمْ أعيـ    ـش ؟ وما الحياة ؟ وما أنا ...؟

(بغداد) عبد الحق فاضل

# أنصاف رجال

بقلم محمود غنيم

يعنى بعض الشبان بمظهره أكثر مما يعنى بجوهره ، ويسرف فى توخى الأناقة الى الحد الذى ينقلب الى الضد . فالى هؤلاء أوجه القول :

شباب النيل يا زين الشباب    ويا أشبال آساد غضاب
معى عتب أوجهه إليكم    وقد تصفو المودة بالعتاب
أرى فيكم فريقاً حين يمشى    يحك بأنفه ظهر السحاب
كليث الغاب فى صلف وتيهٍ    وليس لدى القراع بليث غاب
لزهر النرد قد خلقت يداه    وليست للبراع ولا الكتاب
تفنن فى محاكاة العذارى    وخالفهن فى وضع النقاب
وأرسل شعره المضغوط يحكى    وميض البرق أو لمع السراب
تداعبه الصبا فيموج موجا    كما هب النسيم على العباب
له حلل تحاكى الطيفَ لوناً    بأزرار من الذهب اللباب
وفيها جسمه انصب انصباباً    فما تدرى الثياب من الأهاب
وليس بمحكم عملاً شريفا    ويحكم وضع أربطة الرقاب
ولا يخشى على شئ ويخشى    إذا ثار الغبار على الثياب
إذا خاطبته فى غيرِ لين    تأوه أو تنهد فى الخطاب
وإن أربى على العشرين منهم    فتى أمسى يغالط فى الحساب
وكم من لمة فى مصر شابت    ولم تنفك عن دعوى التصابى
وإن يحلل فتاهم قلب أنثى    يحل هناك بالركن الخراب
فلن ترضاه كالطاووس شكلا    ولكن كاسراً مثل العقاب
وكم ضاق الجمال بطالبيه    وأوذى بالتجمل والخضاب
فقل للغاصبين الحسن مهلا    متى نيل الجمال بالاغتصاب ؟
اذا الذئب استحال بمصر ظبيا    فمن يحمى البلاد من الذئاب ؟
برئت من الفتى يبدو فتبدو    عليه نعومة البيض الكعاب

محمود غنيم

# البريد الأدبي

## رسائل لم تنشر

### من نابليون الى مارى لويز

عرض أخيراً للبيع فى أحد أبهاء التحف بلندن ، مجموعة كبيرة من رسائل الامبراطور نابليون بونابرت الى زوجه الامبراطورة مارى لويز النمسوية ؛ وتبلغ هذه الرسائل التى كتبت جميعها بخط الامبراطور ، ووقعت بامضائه ثلاثمائة رسالة ، تشمل تاريخ أربعة أعوام كاملة من حياة الأمبراطور ، أعنى من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٤ ، وقد كتب معظمها فى أوراق مذكرات صغيرة ، وأرسلت من مختلف أنحاء القارة التى كان يجوبها الامبراطور أو يعسكر فيها بجيشه الى الامبراطورة الصغيرة التى شغفته حباً ، والتى جاءت له بأول ولد يعلق عليه آمال الامبراطورية . وتبدأ برسالة كتبها الامبراطور فى فبراير سنة ١٨١٠ يطلب فيها يد مارى لويز ، وفيها يخاطبها بلهجة رسمية وبذات الجلالة ؛ ثم تتدرج الرسائل بعد ذلك فى البساطة وعدم الكلفة ، فيخاطبها الامبراطور بلهجة الحب الوثيق ، وتغدو مارى بعد أن غدت امبراطورة فرنسا ، « حبيبتى ، عزيزتى . . . . » ويكتب اليها الامبراطور فى مختلف الشئون الشخصية والمنزلية ؛ ويغدق عليها نصحه ، سواء فيما يتعلق بصحتها أو نزهتها ، أو علائقها بسيدات البلاط وسادته . وأشد هذه الرسائل سحراً وتأثيراً ، ماتعلق منها « بالملك الصغير » ولد الامبراطور ومارى لويزا ، والسؤال عن صحته ورجاء تقبيله وعناقه

وتوضح هذه الرسائل تاريخ الامبراطورية فى مراحل متعاقبة ، فالأولى مرحلة الزواج والتحالف بين النمسا وفرنسا ، ورحلة الامبراطور والامبراطورة الى انفرس وفلسنج ، ثم قضاء شهر العسل فى تريانون ( صيف سنة ١٨١٠ ) . وكان الامبراطور يومئذ فى أوج قوته وظفره ، يحكم على معظم ممالك القارة ، ويحكم فى رومه ومدريد ، ويشدد الحصار على انكلترا ويهددها ؛ والمرحلة الثانية هى مرحلة الغزوات الثانية فى بولونيا وروسيا ثم موسكو فى صيف سنة ١٨١٢ ؛ وهنا نجد رسائل كتبت عن معركة بورودينو ، والزحف على روسيا ، ثم حريق موسكو ثم ، الارتداد المروع عن هاتيك السهول الثلجية ؛ والمرحلة الثالثة حينما تتحد الدول على نابليون ؛ وهنا يكتب نابليون الى مارى لويز أن تنصح الى والدها ( الأب فرانسوا ) امبراطور النمسا بألا يتحد مع هذه الدول ، وألا يصغى الى تحريض مترنيخ ، ويحاول بذلك أن يزج بالامبراطورة فى غمار السياسة ، ولكن امبراطور النمسا حماه وأبا زوجه ينضم الى خصومه ، فيحاربه نابليون مع من يحارب ، ويكتب الى مارى لويز بأنه انتصر على جنوده ، وبأن جنوده لم تكن أسوأ منها فى أى وقت مضى . ثم تأتى المرحلة الرابعة وهى مرحلة التقهقر والهزيمة ، وهنا تتعاقب الرسائل كل يوم بأنباء الظفر والحركة والعمل المتواصل ، ثم تجيء الهزيمة ، ولكن الرسائل مازالت تنم عن سمو هذه الروح التى تستقبل المصائب والمحن باسمة ساخرة .

تلك هى خلاصة المأساة التاريخية العظيمة التى تصورها رسائل نابليون الثلاثمائة الى زوجه مارى لويز . وقد عرضت للبيع فى لندن فى يوم ١٩ الجارى مقسمة الى عدة مجموعات ، ولم ينشر منها من قبل شيء ، وقدر الخبراء ثمنها بنحو مليون ومائة الف فرنك ( نحو ستة عشر الف جنيه ) ، وقدرت مذكرات مارى لويز المعروضة معها بمبلغ خمسمائة الف فرنك ( نحو سبعة آلاف جنيه )

وقد علقت الصحف الفرنسية على عرض هذه التحف الأثرية التى تهم فرنسا قبل كل شيء ، وأبدت توجسها من استعداد بعض كبار الهواة الأمريكيين لاقتنائها وبذل أكبر الأثمان فى سبيلها ، وطالبت الحكومة الفرنسية وهيئاتها العلمية

أن تبادر الى اقتناء هذه الوثائق التى خلفها امبراطور فرنسا ، لتضم الى تحفه وآثاره . وقد استجابت الحكومة الفرنسية الى هذه الدعوة ، واستطاعت أن تحصل على الرسائل الثلاثمائة بطريق المزايدة بمبلغ خمسة عشر الف جنيـــه حسبما ورد فى الأنباء البرقية الأخيرة

### وفاة المكتشف دى جيرلاش

توفى البارون دى جيرلاش دى جوميرى الرحالة والمكتشف البلجيكى الشهير بعد مرض طال أمده ، فى سن السادسة والستين ؛ وهو ينتمى إلى أسرة عسكرية نبغ فيها كثير من الضباط العظام ؛ ولكنه آثر البحر منذ فتوته ، وقضى شبابه بحاراً على ظهر السفن ، وفى سنة ١٨٩٠ ، نال رتبة نائب سفينة ، وخطر له من ذلك الحين أن يخصص جهوده لاكتشاف المناطق القطبية التى لم يصل اليها سلفه المكتشف دومون دورڤيل ؛ فسعى إلى الجمعية الملكية الجغرافية البلجيكية حتى قبلت أن تؤازر جهوده ، وأعد لتلك الرحلة السفينة « بلجيكا » وسلحها ، وسافر على ظهرها فى أواخر سنة ١٨٩٧ ، ثم عاد بعد رحلة استغرقت نحو عامين ، بعد أن اكتشف كثيراً من الأنحاء القطبية ، وحمل كثيراً من الوثائق العلمية والمعلومات الهامة ، وكانت هذه فاتحة الرحلات القطبية التى انتهت باكتشاف القطب الجنوبى بعد ذلك على يد الأميرال بيرد الأمريكى وزملائه ، وقام دى جيرلاش برحلات أخرى منها رحلة الخليج الفارسى حيث حقق كثيراً من النتائج العلمية . وفى سنة ١٩٠٣ سافر مع الدكتور شاركو المكتشف الفرنسى على ظهر السفينة « بوركوابا » إلى القطب الجنوبى ، ثم عاد سنة ١٩٠٥ . ولم يمض سوى قليل حتى سافر كرة أخرى على ظهر بلجيكا مع الدوق أورليان ، وقاما برحلة اكتشافية علمية فى بعض أنحاء الجزيرة الخضراء ( جرينلاند ) ، وحصلا على مجموعة نادرة من الحيوانات القطبية ؛ وبعدئذ قاما برحلة أخرى فيما وراء الجزيرة الخضراء ووصلا إلى الحاجز الثاجى الأكبر ، واكتشفا أنحاء لم تكتشف من قبل . وقد نشر دى جيرلاش رسائل شائقة عن رحلاته ، ثم عهدت اليه الحكومة البلجيكية بادارة القسم البحرى ، ومن آثاره فى هذا القسم إنشاء السفينة البحرية المدرسية « مركاتور » التى اشتهرت بطوافها فى أنحاء العالم

وكان دى جيرلاش عضواً فى عدة جمعيات علمية أو مراسلاً لها ، ومن أشهر آثاره كتاب نشره فى فاتحة الحرب ، وكان له دوى عظيم ، بعنوان « الأمة التى لاتريد أن تموت »

### جائزة نوبل للسلام

نعرف أن من بين جوائز نوبل الشهيرة ، جائزة للسلام ، تمنح كل عام لمن يتفوق فى خدمة قضية السلام سواءاً كان من رجال السياسة أم التفكير ؛ وقد نال جائزة نوبل للسلام فى الأعوام الماضية عدة من كبار الساسة الأوربيين ، مثل السير أوستن تشمبرلن وزير خارجية انكلترا الأسبق ، والمرحوم المسيو ارستيدبريان رئيس وزارة فرنسا ووزير خارجيتها الأسبق ، والمرحوم الدكتور شترزمان وزير خارجية ألمانيا الأسبق ؛ وقد فاز أخيراً بجائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٣ ، المستر ارثرهندرسون زعيم حزب العمال البريطانى ، ووزير خارجية انكلترا فى وزارة العمال ، ورئيس مؤتمر نزع السلاح الملحق بعصبة الأمم ، وذلك لما قام به فى مؤتمر نزع السلاح من جهود لتأييد قضية السلام ؛ وفاز بجائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٤ ، انكليزى آخر هو المستر نورمان آنجل الكاتب والصحفى الشهير ، وذلك لما ألفه من الكتب والرسائل ، ونشره من المقالات فى سبيل الدعوة إلى السلام العالمى . وفى فوز الانكليز بجائزة السلام عامين متواليين مغزى تغتبط له السياسة البريطانية

### فى معرض الفن النمسوى

أقيم فى ڤينا أخيراً معرض للتصوير والنحت لنيل الجائزة الرسمية ؛ فنال المثال هربرت بكل من كارنتيا جائزة الحكومة عن معروضاته البرونزية ؛ ونال المثال والتر ريثر من جرانز جائزة الحكومة عن معروضاته الحجرية

# القصص

من أساطير الأولين : رمز الشعر والفضيلة

## إكسوس ومكريا

أو

## عليقة السنديانة Le gui de chêne

للشاعر الفرنسي هجيسب مورو

١٨١٠ — ١٨٣٨

بقلم احمد حسن الزيات

في ذات يوم لا أذكر من تاريخه إلا أنه كان لعامين من موت هرقليس ، كانت مدينة (دلفي) تموج بالناس وتعج بالضوضاء وتزخر بالفتوة . كان ذلك اليوم آخر أيام الألعاب الفيتونية ، ومن أعجب الأشياء أن الصراع والسباق كانا يجريان على غير مشهد من أحد ، والرياضيين والسواقين كانوا ينتصرون على غير علم من انسان ، حتى قيل إن الشاعر سيمندس كان ينشد رائع الشعر في الفرس المجلّي ولا يستمع إليه يومئذ إلا بطله ! ذلك لأن كلمة واحدة طار بها السماع فطارت بالقوم من ميدان اللعب إلى معبد أبولون !

« هاهم أولاء أبناء هرقليس ! هاهم أولاء أبناء هرقليس ! »

ومن في الناس لا يضحي بمقعده من اللعب ليرى أبناء هرقليس سيد أبطال الأغريق ؟ وكانت أثينا منذ شهر قد استيقظت ذات صباح فوجدت هؤلاء الأبناء مخلوعين مضطهدين مشردين يتهافتون في الساحة العامة على مذبح الرحمة فثارت بها الحفيظة لشكواهم ، وزنت فيها القلوب والسيوف لبلواهم . ثم بعثت بهم في هذا اليوم على رأس السفارة المقدسة الى دلفي يستنبئون آلهتها عن مصدر هذه الحرب

ودلفي كما تعلمين[1] مدينة مقدسة تفيض جوانبها بالعجائب ، والناس يمرون عليها وهم عنها معرضون ، وأنا كأولئك الناس في هذا اليوم ، لا أريد أن أنتقل بك من البرناس إلى الهيبدروم ، ولا من الهيبدروم الى منصة أبولون ، فانك ولا شك حججت إلى هذه الأماكن منذ طويل في ( سياحة أناكرسيس ) ، وأنا — ولا أخفي عنك — مشوق كذلك الى رؤية أشبال هرقليس

كان الشعور الذي استولى على الأغريق لدى رؤيتهم أولئك الأبطال يترجم عنه هذا الهتاف الأجماعي الصاخب : « ياللآلهة الخالدين ! ما أوفى القوام وما أصلب العضل ! » وكان في الجمع شيخ سبط العظام ، تحسبه وفي يده عصاه المذهبة ، وعلى جبينه عصابته البيضاء ، ملكاً من ملوك الأغريق العشرين ، مال على كاهن من كهنة أبولون ، وهو يجتاز المعبد حاملاً مبخرة من مباخر المطور ، وقال له في صوت خافض :

— لقد عرفت هرقليس وزوجه ديجانير حق المعرفة ، فما عرفت لهما غير ثلاثة بنين ، فمن إذن هذه العذراء المنتقبة التي تجلس مع أبناء هرقليس على مقعد واحد ؟

— كلامك يا أبي الحق لا مرية فيه ، فليس لهرقليس من ديجانير غير ثلاثة بنين ، ولكن له من زوجته الأخيرة ( يول )

. . . . . . . .

— فقاطعه الشيخ قائلاً : صحيح ! ثم ضرب على جبينه بأصبعه علامة التذكر وقال : لقد روى لي ( فيلوكتيت ) هذا الحديث عشرين مرة ! ولكن قرنين من الزمان يدوران على الرأس لا بد أن يضعضعا فيها الذاكرة ! نعم أذكر الآن أن هذا

(١) يوجه الكاتب الحديث إلى صاحبته التي دعاها أخته وكتب إليها طائفة من الأقاصيص عنوانها ( أقاصيص إلى أختي ) Contes à ma soeur وهذه احداها

الزواج أعقب بنتا . . . فارتفع من وراء الشيخ صوت ندىّ عذب بهذه الجملة :

— بنتاً وابناً يا أبي »

فالتفت الشيخ فرأى يافعاً شاحب اللون هش العظام ، في زي أهل الأرجوليد يردد في احتشام وخجل :

— بنتاً وابناً هما إكسوس ومكريا

فبتسم الشيخ ضاحكاً من الغلام ، وقال للكاهن : أنظر ! في ( بيلوس ) يهتف الناس بعلمي ، وفي ( ارجوس ) يرسلون الى تلاميذهم ليعلموني . . .

ثم قال للغلام : من الذي أنبأك هذا يا بني وماذا تسمى ؟ ولكن الفتى لم يتحمل ملاطفة نسطور ( وهو الشيخ ) فأفلت منه وغاب في زحمة الناس دون أن يجيب

وكان ذلك الهتاف لا يزال يدوي في الفضاء لا يعتريه فتور ولا يناله تغير :

« ياللآلهة الخالدين ! ما أوفى القوام ، وما أصلب العضل ! » ولعلك تعجبين لهذا الأطراء ، وتحملينه على محمل الاستهزاء ، ولكنك تذكرين أننا في بلاد قسمتها طبيعة الأرض ومطامع الناس الى عشرين دولة صغيرة ، يتضارب أقيالها الصِّيد من شدة الزحام بالمرافق والمناكب ، وكان العرف الدارج في الأمم القديمة أن يقتتل الناس رجلاً لرجل ، وجسماً لجسم ، فجعلوا قوة البدن جماع القوى وملاك الفضيلة ، وكانوا يتوسمون مخايل الكفاية والفضل في قبضة اليد وقوة الكتف ، كما نتوسمها نحن اليوم في أسرار الجبهة ولمحات العين ، وحسبك أن هرقليس رمز القوة ومثالها كان إلـهاً

تأخر ظهور الكاهنة الوسيطة التي يتكلم بلسانها الآلـه ، ( La pythie ) ولكن أحداً لم يسمع هنين السأم ، ولم يلمح عبوس الانتظار ، لأن الجمهور كان يجد فيما يرى غذاء لفضوله وريا لشوقه : كان يرى هلُّوس بكر هرقليس وأكبر الأخوة ، وهو محارب عملاق عاري الذراعين مجدول العضلات مطهم الوجه ، فيجده وعلى منكبيه جلد الأسد ، وفي يده الهراوة العقداء ، أشبهَ بأبيه من الليلة بالليلة . ثم يرى أنتينور ، وهو سَوْغُ [1] هيلوس وأدق منه ملامح وأرشق قامة . كان يتشح بقداسته الجديدة ، ويبتسم لشباب الأغريق ، ومنخراه منفوخان يتنسمان عبير الاعجاب في نشوة ولذة . وعلى الجملة كان الآلـه أنتينور شديد الخيلاء والصلف . أما أخوهما ( إيجسط ) فكان لا يشبههما في شيء غير القوة والشهامة . كان وجوده في هذا العصر وفي هذا المصر خطأ صارخا في تقويم الزمن ، وأعجب شيء فيه أنه كان أشقر الشعر ساهم الوجه منقبض المزاج ، وانقباض المزاج عاطفة عصرية مسيحية . ثم كان يرجع من المعارك الداميـة الشعواء الى الدار عذب الروح حيي الطبع ، كأنه أحد أولئك المحاربين الشقر من أهل الشمال : يصرعون المردة والأغوال ، ثم يطأطئون الهام ويحرمون الكلام أمام عصا ساحرة صغيرة . كان وهو يتحسر على عرش ( أرجوس ) كأنما يأسى على شيء أعز عليه من عرش ! فالى أين إذن كانت تصّعد زفراته وتتبخر دموعه ؟ إلى بيت صديق ، أم الى قبر أم ؟ عِلْمُ ذلك عند الله ، فان سره لم يسافر عن ضميره الى أحد ، حتى أخته الفتاة مَكَريا ، وهي أمينة سر الأسرة لم يفض اليها بذات صدره . وكانت مكريا جالسة الى جانبه تصلي . .

عفواً يا أختاه ! لقد شغلت بالأبطال عن العذراء ، ولكنها هي الملومة ! أنظري ! إنها مستترة في ظل إخوتها ، كأنها تحرص على أن تغفلها العيون . إنها لم تكشف عن وجهها النقاب بعد ، فقسماتها لا تزال مجهولة ، ولكنك أسلفت لها الحب ولا شك ، لأنك سمعت منذ قليل أنها وديعة تقية

* * *

وأخيراً أعلنوا ظهور الكاهنة الوسيطة . وكان الوهن لا يزال بادياً عليها من أثر ما أصابها من اختلاج الأعصاب في وساطتها الأخيرة بين الآلهة والناس . فهي تجر نفسها جراً من الأعياء والجهد ، حتى بلغت المنصة متكئة على كاهنين من كهنة أبولون . حينئذ انفتح في جوف المحراب باب على مصراعيه فاقتحمته هبة عريضة من الهواء العازف ، فقشعت دخان القرابين وهزت الجمع الحاشد فضج الناس قائلين : « الآلـه ! هذا هو الآلـه ! » وعندئذ اضطربت النبية المعذبة في المنصة اضطراب الذبيح . فخشعت الأصوات وأصغى القوم

بدأت الكاهنة أمرها بالشهيق ، ثم أتبعته بمقاطع من الأنين والضراعة ، ثم انتهت الى كلمات ذاهلة لا تسفر عن معنى ، ثم تكلم الآلـه بلسانها فقال :

« إن (منيرفا) ستقاتل . . . ! وعلى خوذتها الآلـهية

(١) يقال : هو سوغ أخيه وسيفه إذا ولد بعده وليس بينهما ولد . وهو بالفرنسية ( puîné )

ستصيح البومة : « إنى عطشى » وتذهب جهدها باطلاً
تدعو منيرفا آلهة النصر
وآلهة النصر أختها فلا تخذلها . . .
إنى أسمعها وهى قادمة تنز أجنحتها فى الهواء . . .
ولكن البومة تصيح : إنى عطشى ! وأريد أن أرتوى بالدماء . .
إن ارجوس تنتظر ملوكها لتؤلههم :
اضطربى وميدى يا ارجوس ! إن البومة فى طيرانها السفاح
تحوّم فى الجو باحثة عن جبهة نقية تضحيها
انها تحوم وتحوم ثم تقع على . . . ولد من أولاد هرقليس »

---

وفى هذه الساعة الرهيبة العصيبة على أبناء هرقليس ، لم يكن فى المعبد من ملك نفسه وضبط حسه غير أبناء هرقليس !

على أن الكاهنة لم تكد تمسك عن الكلام حتى صاح بها هيلوس:

— عيّنى الضحية بالاسم

ولكنها كانت تتساقط من الضعف على درج المنصة ولم يبق منها إلا رمق . فقال كبير الكهنة : إن الآلهة كان جبار القلب غليظ الكبد ، فاذا استأنفت التجربة قتلها ولا شك . فليقدم أحد أبناء هرقليس نفسه

فارتفع من بين الجمع ذلك الصوت الرخيم الذى تكلم منذ هنيهة من وراء نسطور وقال : أنا أقدم نفسى ! فقال له الكاهن فى لهجة قاسية : « من أنت ؟ وماذا تسمى ؟ » فأجابه الغلام : « أنا ابن هرقليس واسمى ا كسوس »

فانفجر الناس بأصوات الدهش لهذا الجواب المفاجئ ، ثم قال قائل منهم يتهكم : « إذا صدق قوله فقد صدق اسمه » وستعلمين يا أختاه أن ا كسوس كلمة يونانية معناها الغليق ، فكأن أبويه عند ما وُلد وسماه بهذا الاسم احتقاراً لشكله واستصغاراً لشأنه . والحق أن هذا المخلوق الهش يشبه فى انتسابه الى هذا العرق القوى ذلك النبتَ الطفيلى الرخو الذى تعبث به الريح وهو قائم على جذوع السنديان

دلف ( تينور ) الى الغلام وقال له بلهجة الحانق المتوعد : لقد منعناك أن تتبعنا الى دلفى . . . » ولكن ابنة هرقليس التى ظلت الى تلك الساعة ساكتة محتجبة ، ألقت نفسها بين الأخوين فقطعت من بينهما الشر ، ثم أخذت الصغير من يده وخرجت به من المعبد وهى فى صمم عن نداء هيلوس يدعوها إليه ، وفى ذهول عن هتاف الاعجاب الذى انبعث عن يمينها وعن شمالها ، لأن نقابها انحسر من ذات نفسه لسرعة المشى وشدة الحركة ، فبدت مكريا للعيون بارعة الجمال رائعة الحسن لطيفة الروح ، وقد زاد فى جمالها تلك الشفقة التى تجلت فى صوتها وفى عينيها ؛ والشفقة عاطفة تجمّل القبح ، فكيف يكون أثرها فى الحسن ؟

***

عادت أسرة هرقليس كلها الى أثينا فى مركبة واحدة ، وقد عقد الأبطال الثلاثة قلوبهم على أن يقترعوا بينهم غداً فى معبد منيرفا ليعلموا أيهم يجب عليه أن يموت . وكان ا كسوس المسكين قد جاء فى اختيال ومرح يضع اسمه مع أسماء اخوته فى الصندوق ، ولكنهم منعوه ودفعوه معتقدين أن من الاهانة للآلهة أن يهيئوا للقدر — وهو فى أغلب أمره ساخر عابث — الفرصة ليقدم اليهم هذا القربان الضئيل الأعجف . أما أختهم مكريا فلم يشاءوا أن يعرضوها معهم على رغبة الموت لسبب آخر غير سبب ا كسوس ؛ لقد كانت خطيبة ( ليكوس ) وهو زعيم من زعماء أثينا ذوى الرأى المسموع والأمر النافذ ، ( وأثينا هى التى غضبت لهم تلك الغضبة وشهرت دونهم السيف ) فهم يحرصون لسبب سياسى أو أدبى على ألا يقطع الاستعدادُ للتضحية الاستعدادَ للزفاف .

لذلك وجدت مكريا غرفتها بعد عودتها تضوع بعبير الألطاف والتحف التى قدمها ( ليكوس ) ، ولكن نفسها وهى تتسلف الحداد على أخ من إخوتها لم يهزها كرم الهدايا ولم يسرها جمال التحف . على أنها رأت إكليل الزفاف مصوغاً من الزنبق الجميل النضير ، فحملته ووضعته على جبينها من غير إرادة ولا وعى . وفى هذه اللحظة سمعت من خلفها زفيراً يتصعد فى ضعف ، فالتفتت فاذا هى ترى إ كسوس ، إ كسوس أخاها الذى جمعت له فى قلبها الأم والأخت فى وقت معاً ، إ كسوس الذى عُنيت به وأشبلت عليه لأنه عليل الجسم منبوذ الهيئة ، إ كسوس الذى لا يخطو فى البيت خطوة إلا بابتسامة من مكريا تبدد بؤسه وتجدد أنسه ، فاذا غابت عن الدار غاب عنه الأنس واستولت عليه الوحشة .

كان ينظر الى الزهور الرخية والدمع يجول فى عينه ، والهم يعتلج فى صدره ، والألم الممض يرتسم على أسارير وجهه ، فاستطير فؤاد أخته من الخوف عليه ، لأنها تعودت أن تراه يشكو ويتألم منذ اثنى عشر عاماً ، فلم تجده يوماً على مثل هذه الحال من الكمد القلق واللوعة الأليمة ؛ فأقبلت عليه تعتذر اليه وتسرى عنه وتقول :

— أوه ! اعف عني واغفرلي يا طفلي المسكين !

— أنا أعفو عنك وأغفر لك يا مكريا ؟ علام إذن ؟ والسعادة التي غمرت بها قلبي وعمرت بها وجودي ؟

— لاتشكر لي عنايتي بك ؛ ذلك دين أقضيه . . . . . . ذلك تكفير أؤديه . . . . .

فانبعثت من عين الفتى المشدوه نظرات ضارعة تسأل أخته حل هذا اللغز ، فقالت له : « سمعك الي ! منذ أربع سنين (كان عمرك يومئذ ثماني سنوات وعمري أربع عشرة) جرت في أسرتنا حوادث عجيبة وأمور خارقة لم يصل علمها بأبي ولا بأخوتي . لعلك تذكر ذلك الكوخ الذي بنوه على شاطئ البحر ليختفوا فيه عن أعين المضطهدين الكثيرين الأقوياء . كنت فيه ذات مساء وكان أبي وإخوتي في الصيد ، وكنت أنت منهوك القوى من كثرة ما جريت في الغاب طول النهار ، فاستسلمت على هدهدة المطر والريح لنوم ثقيل ، وكان الليل قد أقبل منذحين ، وأبي وإخوتي لم يقبلوا بعد ، فسمعت قارعاً يقرع الباب فذهبت أفتحه وفي حسباني أني أجد الصيادين والصيد ، ولكني وجدت عابر سبيل يطلب الدفء والمأوى برهة من الزمن ، فأدخلته ، ثم جلست الى جانب سريرك ، واشتغل هو بتجفيف ثيابه على نار الموقد ؛ وما كان أشد دهشي حين رأيت نوراً لطيفاً يتلألأ على شعره الأشقر ! عزوت ذلك النور بدياً الى انعكاس النار التي في الموقد ، ولكن الموقد خبا وغرة المسافر ماتزال مشرقة ! حينئذ أدركت أنه أبولون ، أبولون الذي طرد من الأولب فهام متنكراً في العالم على وجهه ، ثم بقيت على رغم تنكره بقايا النور من هالته

فخررت جاثية أمامه ، وقلت : ماذا تبتغي مني أيها الأله العظيم ؟ فقال : «لاشيء غير المأوى ! على أن المطر قد كف والجو قد صفا ، فأنا ذاهب ، وسأقبلك قبلة الوداع » فتقدمت واجفة القلب مضطربة الحواس الى عمي ، وقدته من يده الى مرقدك ، وقلت له : « الأولى أن تلاطف هذا الصبي المسكين فانه لم يظفر بعد بملاطفة آله ؛ إلمس وجنته الذابلة فتنضر ، وانفخ في شفته الباردة فتغني »

فتبسم أبولون لرجائي ، ودنا منك فنفث في فمك من روحه ؛ ولكن نفثته كانت قوية مضطرمة ، فسرت الى قلبك فأفعمته وأشعلته ! من أجل ذلك كان قلبك يحترق ولا يفتر عن الوجيب ! ومن أجل ذلك كان جسمك يذوي وروحك لاتستجيب . . .

هأنذا وقفتك على جلية الأمر فهل تصفح عني ؟

فما كان جواب إكسوس إلا أن قبل أخته . فقالت له : إن برهان عفوك عني ، أن تنقاد لي وتسمع مني ؛ قل يا قليل الحكمة : بأي معجزة نجوت من الموت جوعاً وظمأ في طريقك الطويل من أثينا الى دلفي ؟

فقال إكسوس : أوه ! كنت من الصباح الى المساء استرجع النشاط بالغناء ، واستفتح الأبواب بالنشيد ، فكلما دلني الدخان على وليمة في أحد البيوت طرقت الباب وأنشدت الأغنية فيفتح لي أهله وينزلونني خير منزل

فتبسمت مكريا وقالت : أغنية عجيبة ! هل لك أن تعلمنيها يا إكسوس حتى أغنيها أنا أيضاً في ذهابي الى دلفي أو الى الأولب ؟

فتمنع إكسوس وتدلل على عادة المغنين في كل عصر ، ثم نزل على مشيئة أخته بعد رجاء قليل :

## أغنية اكسوس

افتحوا ! أنا إكسوس المسكين ، أنا عُلَّيْقَةُ السنديانة التي إن تمر عليها هبَّة الريح تمت ! منذ اثني عشر عاماً سقط قزم من جلد الأسد الذي يتنكبه هرقليس ، فكنت أنا ذاك القزم . كان أبي لا يحبني لأنني كنت صغير الجثة رقيق البدن ، وحينما كنت أصطدم بركبتيه وأنا طفل كنت أسمع فوق رأسي زجرة كزمجرة العاصفة . وكان إخوتي يضربونني كلما دعوتهم اخوتي ! ومع ذلك أريد أن أعيش ، لأن لي أختاً تحبني وتحنو علي ، هي الجميلة الكريمة مكريا !

افتحوا ! أنا إكسوس المسكين ! أنا عليقة السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

٢

قال لي أخوتي ذات يوم : « اجتهد أن تكون صالحاً لشيء . . تعلم اقامة التماثيل وشيادة الهيا كل ، فلعلنا نصير يوماً آلهة » فحاولت أن ألبي مبتغى اخوتي ، ولكن الأزميل والمنحت كانا ثقيلين على يدي ! ثم كانت هناك رؤى غريبة تطوف بيني وبين جنادل (باروس) وكانت إصبعي الناحلة الذاهلة تخط في التراب اسماً لا تخط غيره : اسم أختي الحبيبة مكريا . . .

افتحوا ! أنا إكسوس المسكين ! أنا عليقة السنديانة التي ان تمر عليها هبة الريح تمت

٣

حينئذ قال لي اخوتي : « ان في مضيفنا شيخاً من شيوخ

الـكلدان يقرأ فى صفحة السماء أسرار الغيب وأنباء المستقبل ، فاستمع إليه ، وتثقف عليه ، ثم قل لنا أترى فى مطاوى السحب كنوزاً أو نصراً » فسمعت من الشيخ ، ثم قضيت ليالى طويلة أرصد النجوم والغيوم فلا أرى كنوزاً ولا نصراً . إنما كنت أرى عيون السماء تنظر إلىّ نظر المحب ، كأنها عيون مكريا . . .

افتحوا ! أنا إكسوس المسكين ! أنا عليقة السنديانة التى ان تمر عليها هبة الريح تمت

٤

حينئذ قال لى اخوتى : « خذ قوساً ونشاباً واخرج إلى الصيد فى الغاب » فجُبْت الغاب بقوسى ونشابى ، ثم لم ألبث أن نسيت اخوتى وذهلت عن صيدى . وبينما كنت أسمع غناء الرياح وتغريد البلابل أقبلت ظبية فأكلت طعامى من جيبى ، ثم جاء طائر صغير أعياه طول الطيران فنام فى كنانتى ، فحملته الى مكريا

افتحوا ! أنا إكسوس المسكين ! أنا عليقة السنديانة التى ان تمر عليها هبة الريح تمت

٥

حينئذ قال لى اخوتى : « انك لاتصلح لشىء » ثم ضربونى ، ولكننى لم أبك ، لأن فكرى كان مشغولاً بأختى ! وغداً سيأخذون منى مكريا ! وغداً ستسأل وهى جالسة فى حفلة الزفاف : ما هذا الدخان الذى يسطع هناك وراء الغار ؟ فيجيبها المدعوون : « لاشىء »

« إنها محرقة إكسوس المسكين ، عليقة السنديانة التى عصفت بها الريح فجعلتها كالرميم »

فصاحت الفتاة وقد ملكها الحنان وأدركها الجزع : كلا انك ستعيش ! وسأجعلك فى قلبى ، حتى إذا ثارت العواصف الهُوج لايمسك منها أذى . ان (ليكوس) سعيد محبوب ، وعذارى أثينا كثيرات يفتحن له دورهن وصدورهن . أما أنت أيها الفريد الشريد الموجع ، فاليك وحدك كل أيامى وأحلامى وحبى

« خذ يا أخى ، خذ يا شاعرى ! هذا ثمن أغنيتك » ثم نزعت من فوق جبينها الأبلج إكليل الزفاف وألقته مبللاً بالدمع تحت قدمى إكسوس ! فأراد إكسوس أن يجيب ، ولكن التأثر المفاجىء صعق الصبى المسكين فلم يستطع إلا أن يقول بصوت خافت : أوه ! ثم وضع يده على قلبه وخر مغشياً عليه ! ثم بات طول الليل يتضور من شدة الحمى ، وأخته بجانبه لايغمض لها جفن ، ولا يرقأ لعينها دمع

وكان الغد موعد أبناء هرقلبس إلى المعبد ليقترعوا هناك على الضحية . فتقدموا الى الهيكل كما يتقدمون الى المعركة : قلوبهم فارغة من الهم ، ورءوسهم مرفوعة من العزة ؛ ثم جرت المراسم المألوفة وهى لا تختلف عما رأيناه فى دلفى . وأقبل كاهن من كهنة (منيرفا) فأجال الأسماء فى الصندوق ، ثم تقدم طفل معصوب العينين إلى الأناء المقدس يستخرج منه حكم الموت . فلم تكد يده تلمس حافته حتى دوى على عتبة المعبد صوت امرأة يقول : « قف ! ها كم الضحية . . »

وكان ذلك الصوت صوت مكريا وهى تتقدم الى المذبح كاسفة اللون ، كاملة الأهبة ، تنوس على جبينها الأزهر الجميل عَصبة الذبيحة . فدلف إليها ايجسط وقال : أهنا أنت يا أختاه ! لقد وعدتنى أن تتخلى لتقوى على سرير إكسوس . فقالت وهى تغالب الدمع وتحبس الزفرة : إن إكسوس مات ! وليس الآن مايمنعنى أن أفديكم بنفسى . ثم تابعت سيرها البطىء الى الهيكل بين تصفيق الجمع وإذعان الاخوة . ثم جثت مكريا أمام المذبح ، وعوقت بالاشارة مدية الذابح العجلان حتى تلقى على إخوتها ابتسامها الأخير ، ثم أغمضت عينيها ، وأزاحت الغطاء عن ثديها ، وكانت بعدد قيقتين جسداً يضطرب على مذبح الهيكل :

ثم أضرموا النار وجعلوا منها لاكسوس ومكريا محرقة واحدة ! وعندئذ رأى الناس شيئاً يصعد من اللهيب الى السماء ، رفاف الأجنحة ناصع الريش رائع الرواء !

وهكذا كانت الفضيلة (مكريا) فى العصور الخوالى تكفل الشعر (اكسوس) وتلهمه . والفضيلة والشعر أجمل ما فى الحياة وأنبل ما فى الانسان !